طرف ثالث

رواية

عصمت إدلبي

اسم الكتاب: طرف ثالث

اسم الكاتب: أميرة أحمد

رقم الإيداع: 13636

الترقيم الدولي: 978-977-835-118-7

الطبعة الأولى: 2019

إخراج داخلي: هيام فهيم

صادر عن: مؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

01205100596

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

مقدمة ..

لم يكُن الحب كما قيل عنه، ليس كما صور الأدباء جماله وروعته، ولستُ أكذبُ عليكم، فهذا هو الحب بكلّ قسوته التي عشتها، لن أخدعكم لأن الدنيا لم تغدو ورديةً كما ظننت، كانت رماديةً حد الاختناق، لذا عزيزي القارئ، إن كنت ترغب في قصةٍ رديةٍ تنتهي بالحب الذي لا ينتهي فلا أنصحك بقراءة كتابي هذا

وقد قيل لي أيضًا بأن الكتابة تُساعد الأنسان على التخلص مِن همومه ومشاكله، تُساعده على التخلص من شعور غير قادرٍ على تسميته، وتساعده ايضًا ليخرج مآ بداخله ويعبر عن مشاعره، الكتابة تُحول شعورك من الأسوأ الى الافضل.

لِذلك انا أكتُب ..

ميرا أحمد

شكر ..

كان يجب لهذه الرسالة أن تُكتب، بل كان يجب أن تكون أول ما يُقرأ، الوحيدة التي كانت معي من البداية إلى النهاية، عينت نفسها مساعدة لي وكيف لي أن أرفض

الوحيدة التي شجعتني ووقفت بجانبي في أصعب أوقاتي، روان كانت معي منذ أن قررت أن أكتب هذه الرواية حتى أنهيتها، الوحيدة التي أثبتت أنها خير صديقة وأنها شخصية لا تُعوض، الوحيدة التي تستحق الشكر فعلًا، أنتِ نعمتي الوحيدة في الدنيا، أنتِ الحظ والصدفة الجميلة التي دخلت حياتي، شكرًا على وجودِك ..

ميرا أحمد

إهداء ..

خيبتي تبقى لي ..

لن أهديها لأحد ،،

ميرا أحمد

- أنا وقفت جنبك عشان تنسي عمّار وهو مكنش بيحبك وقالي إنه ولا حبك ولا عمره كان بيحبك. لم تخرُج رسالتها تلك من ذاكرتي. ظلت حروف الرسالة منقوشة بذهني، باتت عالقة بعُنقي تخنقني لَحظات ثمّ أمسكت هاتفي وفتحت تطبيق الوتساب، ترددت قليلًا قبل أن أفتح محادثة عمّار، ارتجفت يداي وأنا أكتُب.

- أنا كُنت مستنية بس حاجة تثبت لي إني مش غلطانة وتأكد لي إنك مكنتش بتحبني، حاجة تخليني مش ندمانة إني طلعتك من حياتي.

في اليوم التالي ..

- ريهانا أنا موعدتكيش بحاجة ولا حتى ارتبطنا عشان تعملي كدا، أنا كنت جنبك وكان في دماغي إننا صحاب عادي، بعدت لما حسيت أنك بتفكري في حاجة تانية عشان مظلمكيش.

قرأت رسالته ولاحت على شفتاي ابتسامة ساخرة، أرسلت له صورة ثم ببساطة قمت بحظره، بالفعل لقد سئمت مما يحصل.

الفصل الأول

" إنتِ الفرحة اللي كنت بدعي ربنا يبعتهالي
في الفترة الميؤوس منها دي،
وربنا استجاب لدعائي وبعتلي وحدة بجمالك "

كنت أتصفح حسابي على الفيس بوك حين رأيت صورته وحسابه ضمن الأصدقاء المقترحين، وبدون أن أمهل نفسي وقتًا للتفكير أرسلت له:

- " مرحبا ".

كتبتها بأيدٍ مُرتجفة ونبضات قلبي كانت تخفق بشدة ولم أجد تفسيرًا لهذا، اجتاحتني سعادة غريبة، لكني لم ألقي بالًا للمنطق حينها.

- " أهلا ".

استقبلتها وكاد قلبي أن يرقص، بداخلي شعور غريب. ما الذي يجعلني أفرح لهذهِ الدرجة !

أرسل مجددًا: " إنتِ تعرفيني؟ ".

أجبته : " لا ".

- تمام نتعرف .. أنا عمّار اولى هندسة، وإنتِ ؟

- اسمي ريڤانا، ثانية ثانوي.

عمّار: اتشرفت بيكِ.

ريڤانا: وأنا كمان.

هكذا انتهى التعارف بيننا، لم أشعر قط أنني أتحدث مع شخص غريب، وشعرت بأن هذا لم يكن نهاية حديثنا.

في اليوم التالي بعد عودتي من المدرسة، ذهبت أتفقد هاتفي لأجد رسالة منه.

عمّار: ازيك؟ عاملة ايه؟

أجبته بسرعة وحماس:

- الحمد للّه بخير، انت ايه اخبارك؟

عمّار: انا تمام اوي.

ريثانا: دايما يارب.

عمّار: تسلميلي.

ويا إلهي! لقد اضطربت نبضات قلبي لكلمته هذه، وكأنه قد تعمّد قولها بهذه الطريقة المُربكة.

**

خلال اليومين التاليين بقيت أدخل على محادثتنا سويًا رغم أننا لم نتحدث، أقرؤها أكثر من مرة في الدقيقة، حتى أنني حفظت تفاصيلها، بقيت مترددة، هل أحادثه؟ ماذا سأقول لكي أبدأ معه الحديث؟ لماذا لا يحدثني هو؟ هل هو لا يريد أن يتحدث معي؟

في نهاية هذا اليوم الممل ؛ عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل وجدته متصل، أصابني بعض الفضول لأعرف سبب استيقاظه إلى الآن، وقبل أن أعرف مدى عقلانية ما سأقوله له وجدت نفسي أرسل له رسالة:

- صاحي ليه لحد دلوقتي؟

فأجابني فورًا ؛ عندي تسليم تصميم بكرة وسهران عليه.

ريثانا: تمام، هسيبك تكمل اللي وراك، مش هعطلك.

عمّار: تمام.

ولا أعلم لماذا شعرت بالراحة بعد أن عرفت سبب استيقاظه، إنه الفضول فقط، أليس كذلك؟ آمل هذا.

**

مرّ باقي الأسبوع كما مرّ اليومين السابقين، مترددة بين رغبتي في معرفته أكثر ورغبته التي لا أعلم عنها شيئًا، محتارة هل أبدو كمتطفلة اقتحمت حياته فجأة؟! ثم أعود لأقول لم يكُن ليجيبني إن كان يعتبرني كذلك.

وأخيرا أتت الإجازة، كالعادة عدت من مدرستي إلى هاتفي مباشرةً، كنت قد قرّرت مسبقًا أنني لن أحدثه مجددًا حتى لا أظهر كمتطفلة أو فضولية، لكن حتى هذا القرار قد تبخر في ثانية حين وجدث رسالة منه في لائحة الإشعارات.

- وأخيرا ويكند.

نظرت إلى وقت الرسالة وجدته قد أرسلها منذ ساعة، احترت في الرد عليه، خفت أن يظن أني قد تأخرت في الرد عمدًا، حين فكرت في الموضوع وجدت أنني لن أخسر شيئًا فأرسلت له.

ريثانا: آه والله، الواحد كان قرب يموت خلاص.

انتظرت قليلا لأجده رد على رسالتي فورًا.

عمّار: انتِ مشغولة ولا حاجة؟

ريثانا: لا أبدا، بس لسة داخلة البيت.

عمّار: آها، أكيد تعبانة، روحي اتغدّي ونبقى نتلكم بعد ما تخلصي.

ريثانا: انت اتغديت؟

عمّار: آه اتغديت من زمان، هستناكِ متنسيش.

ريثانا: تمام.

أرسلتها ورميت الهاتف من يدي، بقيت أدور في مكاني مثل المجنونة، وحين استوعبت ما أفعله انفجرت في الضحك.

بدلت ملابسي سريعا وذهبت لآكل شيئًا خفيفًا حتى أعود له بسرعة، وخلال خمسة عشر دقيقة وربما أقل كنت قد عدتُ لهاتفي وأرسلتُ له:

- خلصت.

عمّار: بالهنا والشفا، احكيلي بقا بتحبي ايه وكدا، حابب اتعرف عليكِ أكتر.

طال حديثنا واستمر لساعات، كان يومًا جميلًا بحق، شعرت وكأن إرهاقي كله قد تبخر، شعرت أنني خفيفة بدون هموم، لكنني لم أعلم أن ما سيأتي لاحقًا سيكون ثقيلًا جدا عليّ.

**

مرّت باقي الإجازة ولم أتحدث مع عمّار، قضيت الإجازة كالعادة مع عائلتي، تشاجرت معهم، تشنجت أعصابي تمامًا وفقدت أحبالي الصوتية من كثرة صراخي، وأتمّ هذا الأمر الفراغ الذي سبّبه غياب عمّار المفاجئ، خِفت كثيرًا فقط لأنني اعتدت عليه بسرعة كبيرة، حتى أنني تفاجأت بأني حزينة لغيابه وليس لأي شيءٍ آخر.

- طمنيني يومك كان عامل ازاي؟

كان هذا في بداية أسبوع جديد، قرأتها بعد عودتي إلى المنزل.

أجبتهُ في الحال:

- مش تمام اوي بس تمام.

أغلقت الهاتف لأتفاجأ بصوت الإشعارات في أقل من دقيقة، فتحته لأجد هذا:

عمّار: وأنا كمان يومي كان زفت.

ريثانا: حصل ايه معاكِ؟

عمّار: النهاردة كان تقييم التصاميم والدكتور قالي أعيد تصميمي تاني من الأول.

ريثانا: ليه يعني؟ فيه حاجة غلط؟

عمّار: آه فيه، التصميم معجبش حضرته.

ريثانا: طب وهتعمل ايه دلوقتي؟ لازم هتعيده طبعا.

عمّار: مش قادر بصراحة، في داهية.

ريثانا: هو ايه اللي في داهية دا يا بشمهندس!! إنت زي الناس المحترمة كدا تروح تعمل تصميم جديد.

عمّار: وايه المقابل؟!

ريڤانا: أنا هكون معاك، هشجعك متقلقش.

عمّار: بجد؟

ريڤانا: آه بجد.

عمّار: طَب ودراستِك؟

ريڤانا: متقلقش أنا هزبط الدنيا، بس يلا ابدأ اشتغل.

عمّار: تمام جدا، لما ابعتلك هتردي مش كدا؟

ريڤانا: أكيد.

مرّت خمس دقائق فقط لأجده أرسل لي:

- ريڤانا، موجودة؟

أجبته سريعًا: أيوة، في حاجة؟

عمّار: لا مفيش، بطمّن مش أكتر.

تجاهلت رفرفة قلبي لأجيبه:

- قلتلك متقلقش هفضل موجودة.

عمّار: ماشي يا ستي.

بقي عمّار يحدثني كل عشر دقائق تقريبا وكل مرة يختلق سببًا جديدًا، أهملت دراستي فقط لأجيب على رسائله التي لم أكن أظن أنها ستنتهي، وحين قضى ليلته تلك مستيقظًا بقيت مستيقظة معه فقط حتى لا يغلبه النعاس، وكانت النتيجة غيابي في اليوم التالي عن المدرسة وإكمال نومي في المنزل.

**

لم أنسى ما قاله لي حين أنهى تصميمه ذاك:

- شكرا جدا لأنِك بقيتي معايا، لولاكِ مكنتش هعمل أي حاجة، حاسس كمان إنه هيتقبل عشان عملته وأنا مبسوط بوجودِك جنبي، أنا رايح الجامعة دلوقتي، ادعيلي.

قرأتها وغفوت براحة بعد ثلاث ليالٍ من التوتر العصبي، وكان الفضل في هذا لعمّار.

في ذلك اليوم استيقظت في الساعة الحادية عشر لأجد رسالةً منه:

- ريڤانا، الدكتور عجبه التصميم.

أجبته فورًا:

- كويس، تعبك المرة دي جاب نتيجة.

بعد دقيقتين:

عمّار: أخيرًا صحيتي، بشرية انتِ ولا كائن باندا !

ريثانا: دا بدل ما تشكرني عشان سهرت معاك.

عمّار: أنا مش ناسي على فكرة، هبقا أشكرك بطريقة تليق بيكِ.

ريثانا: بجد؟ هتعمل ايه يعني؟

عمّار: هتعرفي في الوقت المناسب.

ريثانا: قولي دلوقتي وأنا هعمل إني اتفاجئت وقتها.

عمّار: أنا قُلت لأ.

ريثانا: ماشي.

وهكذا مرّ باقي اليوم، لكنه كان دور عمّار ليرد لي الجميل، لم يفعل شيئًا سوى الصراخ في التسجيلات الصوتية حتى أذاكر لامتحاني الذي فوتّه اليوم بسببه، وبهذا مرّ يومٌ آخر معه.

**

في مقابل تلك السعادة التي أشعرني عمّار بها كان قلبي يخفق بقوة، مروره بذهني كل دقيقة كان سببًا لابتسامتي الخرقاء، كنت سعيدة جدًا لدرجة أنّني في تلك الأيام لم أرفض شيئًا طُلب مني، كنت أدرس وهو يتابعني، أعود من دوامي لأجد رسالة منه يطمئن فيها عليّ، كان يعلّق على صوري التي كنت أنشرها، تعليقاته كانت كجرعة سعادة يومية، يفوز ذلك الأسبوع بأكثر أسبوع مثالي في حياتي.

**

أمّا نهاية هذا الأسبوع فقد كانت الأفضل على الإطلاق.

عدت يوم الخميس إلى المنزل في الساعة الثانية ظهرًا، كان الجوّ حارًا جدًا في ذلك اليوم ومعدل الرطوبة يزداد كل دقيقة، عدت وأنا منهكة وقد خارت قوتي تمامًا، في الوقت الذي وضعت فيه رأسي على الوسادة وقبل أن أغمض عيني وصلتني رسالة طويلة جدًا من عمّار.

- ريهانا، الحلوة اللي دخلت حياتي وبقيت من أجمل الحاجات اللي فيها، رغم إنه مكملناش أسبوع نعرف بعض ورغم إننا منعرفش بعض كويس أوي بس أنا مش عارف ازاي برتاح جدا لوجودك معايا وجنبي، تقريبا إنتِ الفرحة اللي كنت بدعي ربنا يبعتهالي في الفترة الميؤوس منها دي، وربنا استجاب لدعائي وبعتلي وحدة بجمالك.

أتمنى بجد نكون أصحاب وإنه تفضلي معايا، ممكن متمشيش وتخليكي جنبي لأني محتاج حد جنبي، هتعب جدا لو رجعت لوحدي تاني، متعودتش أكون صريح مع أي حد كدا حتى لو بحبه، بس أنا حابب إنك تعرفي إني محتاجك جنبي حتى لو مش بقالنا كتير تقبلي نكون أصحاب وأكون جزء من حياتك؟

قرأتها وأدمعت عيناي، من فرط سعادتي بما قاله كدت أبكي، تجمد عقلي ولم أستطع حتى أن أجيبه، لم أعرف ما الذي يمكنني قوله في لحظة كهذه، لم أجد ردة فعل كافية لتعبر عن فرحتي برغبته هذه، أنا لازلت لا أصدق أن عمّار يريدني أن أكون جزءً من حياته، ربمّا هو أيضًا فرحتي كما كان يدعوني، يبدو هذا.

**

الفصل الثاني

"حلوتي مينفعش تزعل وضحكتها مينفعش تغيب"

كان أسبوعًا مليئًا بالامتحانات القصيرة كليًا، لم أتحدث مع عمّار سوى القليل وكان يتركني لأدرس جيدًا، في الليلة الثانية حيث كنت أدرس مادة الرياضيات -العقيمة- قال لي:

- حاولي تحبّي الرياضيات عشان تدخلي هندسة معايا ونزاكر سوى في المستقبل.

أرادني أن أنجح لأكون معه في تخصص الهندسة، رغم أن علاقتي مع الرياضيات لم تكن جيّدة أبدًا إلا أنني أردت فعلا تحقيق رغبته هذه، حتى أنني جعلتها هدفًا لي، كنت أدرس باجتهاد أكبر لأحقق علامات أكبر، كان يتابعني كثيرًا تلك الليلة، وأنا قمت باستغلاله كثيرًا فقط لأقضي وقتًا أطول مع أحاديثه التي لم تخلو من التوبيخ.

- ريثانا، ركزي شوية، احفظي القانون وحطي الأرقام بدل الرموز.

هذا ما قاله حين انتهى صبره، أخبرته بملل منه ومن هذه المادة.

- عمّار! ألف مرة قُلتلك إني بكره الرياضيات، انا مش عارفة انت ازاي بتدرس هندسة دي.

عمّار: هندسة دي!! مسمحلكيش على فكرة.

ريثانا: هتعمل ايه يعني؟

عمّار: ولا حاجة طبعا.

ريثانا: ايوة كدا اتعدل.

عمّار: اتعدلت يا حلوتي.

وهكذا بقينا طيلة تلك الليلة، هو يحاول جيّدا تبسيط المسائل لأفهمها، وأنا أحاول استفزازه، لنضحك سويا في النهاية، كنا نضحك وكأن قلوبنا هي التي تضحك وليس نحن.

***

- ريثانا، عملتي ايه في الامتحان؟ كان سهل؟

قرأتها فور عودتي لأجيبه بسرعة:

- كان كويس، مستقبلي كمهندسة مبهر جدا.

شعرت أنّ عمّار كان يضحك حين أجابني:

- آه طبعا، كفاية إنّك تعرفي الباشمهندس عمّار.

ريثانا: ياربي، ابتدينا غرور.

عمّار: خلاص هسكت، يلا قوليلي وراكِ ايه النهاردة؟

ريثانا: ورايا حاجات كتيرة ..

وهكذا بقي عمّار طيلة اليومين الباقيين، ينجز مشاريعه المكلّف بها وحين أحتاجه أجده فورًا، وكنت أنا بدوري أنهي دراستي بسرعة لأتحدث معه لوقت أطول وأخفف عنه ضغط دراسته، كان كلانا يفهم ما يحتاجه الآخر بالضبط، وحين شعورنا بهذا لم نكن نتأخر في تقديم ما يساعد الآخر، أنا وعمّار كنا كوجهين لعملةٍ واحدة.

أتى يوم الخميس لكنّه كان سيئًا ؛ أصبتُ بنزلة معوية رغم أنّني لم آكل شيئًا هذا اليوم، عدت إلى المنزل ونمت من فرط إعيائي، لم أستيقظ إلا بعد المغرب على رنين هاتفي بإشعارات مزعجة، كدت ألقي الهاتف على الأرض وأحطمه لكنني توقفت حين لمحت اسم عمّار، اعتدلت بإعياء شديد لأفتح الهاتف وأنا أرى الرسائل قد تجاوزت المئة رسالة.

- ريڤانا.

- رجعتي ولا لسة؟

- ريڤانا انتِ كويسة؟

- ريڤانا ردي متخوفنيش.

- حصلت معاكِ حاجة النهاردة؟

والكثير من الرسائل التي تشبهها ..

حركت أصابعي بخمول لأكتب له رسالة قصيرة:

- أنا كويسة، متقلقش.

رآها بنفس الثانية وأجابني بقلق مفرط:

عمّار: ريڤانا، كنتي فين كل دا؟ قلقتيني عليكِ؟

ريڤانا: معدتي وجعاني شوية، ونمت على طول بعد ما رجعت.

عمّار: ليه مقلتليش؟

ريڤانا: أنا آسفة واللّه بس مكنتش شايفة قدّامي من التعب.

عمّار: مرة تانية تقوليلي لما تحصل حاجة زي كدا، فهمتي ولا لا؟

ريڤانا: حاضر، حاجة تانية؟

عمّار: أيوة، قومي اشربي حاجة سخنة.

ريڤانا: مش قادرة واللّه يا عمّار، انا هنام تاني.

عمّار: ريڤانا، اسمعي الكلام متجادليش.

ريڤانا: اووف.

ولم يتركني إلا حين تأكد أنني شربت شيئًا ساخنا لتهدأ معدتي قليلًا، حتى بعد هذا سهر معي ليبعد تفكيري عن الألم، ولأكون صادقة معكم، راحتي النفسية لوجوده

بجانبي كانت سببًا لتحسن صحتي واختفاء الألم تدريجيًا، تلك الليلة كان عمّار هو دوائي.

ولم يتوقف الأمر هنا، ففي اليوم التالي استيقظت لأجد رسالة من عمّار يطمئن فيها عليّ:

- معدتك عاملة ايه دلوقتي؟ طمنيني.

ريثانا: الحمدلله أحسن بكتير.

عمّار: طيب الحمدلله، خفت تكون لسة بتوجعك.

ريثانا: لا متقلقش، الفضل للدكتور عمّار مسابنيش لوحدي وغصبني أشرب الحاجة السخنة.

عمّار: لا شكر على واجب.

ريثانا: انا بهزأك على فكرة مش بشكرك أبدا.

عمّار: أخدت بالي على فكرة، بس أنا واخد بالي من حالتك الصحية بردو.

كنتُ أحاول استفزازه، لكنه كان بارد الأعصاب بطريقة استفزتني أنا، وحين انقطع الحديث كان يحدثني كل ساعة تقريبا ليطمئن على حالي.

لن أخفي أنني كنتُ سعيدة جدًا بكل هذا، اهتمامه وقلقه عليّ كان بالفعل يُشعرني بالراحة، لكنّني لم أكن لأعترف بهذا بسهولة حتى أنني تصرفت بعكس ما أشعر به.

ريثانا: عمّار دي عاشر مرة تسالني اذا كانت معدتي وجعاني ولا لأ!

عمّار: غصب عني والله، خايف ترجع توجعك زي امبارح ومكنش موجود جنبك أو متعرفنيش.

ريثانا: عندك حق والله، أنا فعلا مش هقولك لو حصل.

عمّار: شفتي، ليه بقى مش هتقوليلي؟

ريثانا: عشان متخلنيش أشرب أو آكل بالغصب.

عمّار: كويس إنك عارفة أد ايه انتِ عنيدة.

لا أعرف إن كنتم ستفهمون هذا لكنني شعرت أن عمّار جزء من عائلتي بل عائلتي كلها، لم يتركني وحدي حين مرضت، يطمئن عليّ من وقت لآخر، حتى آخر مراحل شفائي كان بجانبي، أنا لن أنسى شعوري قط.

في يوم السبت، في نهاية اليوم كنت أتحدث مع عمّار في أحاديث مختلفة حتى قال لي فجأة.

عمّار: عندي رحلة بعد يومين تبع الكلية.

ريثانا: بجد؟ هتروحوا فين؟

عمّار: شرم الشيخ.

ريثانا: جميل أوي، أكيد هتنبسط.

عمّار: لستِ مقررتش أروح ولا لأ، انتِ ايه رأيك؟

ريثانا: مش عارفةِ واللّه، شوف اللي يريحك.

عمّار: انا عايز رأيك مش اللي يريحني.

ريثانا: خلاص روح، تغير جو وكدا.

عمّار: متأكدة؟

ريثانا: ايوة، عادي يعني.

عمّار: على فكرة ممكن مروحش، بس بشرط ..

ريثانا: وايه هو الشرط؟

عمّار: تغيبي بعد بُكرة وتقضي اليوم معايا.

ريثانا: يابني روح اتبسط مع اصحابك انا مش هطير.

عمّار: لا أنا حابب أكون معاكِ أكتر.

دقّ قلبي، بل كاد أن يطير فرحًا من فرط دقاته، لم أصدّق أنّ عمّار فضّل الجلوس معي على أن يذهب لتلك الرحلة، كما أنني لم أستطع أن أفرط في هذه الفرصة، وبالفعل يومها تغيبت عن دوامي فقط لأقضي اليوم معه كما كان يرغب.

***

اعتدت منذ فترة ليست بالقصيرة أن أكون سعيدة لوجود عمّار بجانبي، رغم أنّ هذه ليست طبيعة حياتي التي أعيشها، فقبل أن أعرف عمّار كانت مشاكلي لا تنتهي، خاصة مشاكلي مع عائلتي، لا أعرف سببًا واضحًا لهذا هل المشكلة فيّ أنا كما يقولون؟ أم أنّ هذا كله بسببهم كما أرى أنا؟

كان هذا اليوم هو إحدى تلك الأيّام التي أستيقظ فيها ليتم انتزاع مزاجي كليًا بسبب شجاراتهم التي لا تنتهي رغم أنني البارحة فقط كنتُ أحتفل بمرور شهر على تعرفي على عمّار، كان يومًا سيّئًا بحق.

وكأنّ هذا لا يكفي، فقد أصبح كل شيء ضدّي في ذلك اليوم التعيس، يا إلهي متى ينتهي هذا اليوم !

أما عمّار، فلم يتوقف عن إرسال الرسائل، حتى حين لم أجبه كان يصر إصرارًا عجيبًا، وكأنّه قد شعر بحالتي الميؤوس منها وقرر إخراجي منها لكني لم أساعده في هذا.

استمر في الإرسال والرنين لخمس ساعات متواصلة وحين قررت أن أجيبه كان هذا ما حصل.

أرسلتُ له أنني منزعجةٌ حقًا وأنني لا أريد التحدث مع أحد، ولكنه لم يتركني بمفردي ولو لِلحظة.

أجبتهُ وقلت " أنا بخير ".

عمّار : أنا عارف إنك مش كويسة خليكي معايا.

ريثانا: عشان خاطري نتكلم بكرة وهبقى تمام.

عمّار : مفيش بكره هنتكلم يعني هنتكلم !

ريثانا : طيب.

عمّار : احكيلي بقا مالك؟ وبالتفصيل.

شرحتُ له ما حدث بالضبط، كنت أبكي في نفس الوقت الذي أحدثه فيه وحين فرغت من الحديث لم يحاول مواساتي، لم يصحح أخطائي أو يلُمني عليها، كل ما أخبرني به وبشكلٍ مفاجئ جدًا:

-حلوتي مينفعش تزعل وضحكتها مينفعش تغيب.

كآن يواسيني بكلماته القليلة ولكن قليلها أسعدني كثيرًا حتى أنّني نسيتُ ما مررت به، ليتهُ يبقى للأبد.

أكمل قائلًا :

- متزعليش أنا معاكي وبعدين مينفعش الخدود دي تزعل.

ريڤانا : ربنا يخليك ليا.

عمّار : دايمًا بتمنى صاحبة زيك تكون ليا كل حاجة، تحكيلي واحكيلها ويبقى مليش غيرها.

ريڤانا : تحب أكون أنا؟

عمّار : مش حابب يكون حد غيرك أصلا، إنتِ بس اللي أنا عاوزها.

مَر ذلك اليوم ولَم ينم عمّار إلا عندما تأكد بأنني بخير، كنت أشعر بالسعادة بجانبه، حتى أنهُ إذا ذهب قليلًا، يُعود حُزني بأضعافٍ، تأكدت بأنّ وجود عمّار بجانبي سببٍ لتغيّر الكثير من الحزن في حياتي.

ومنذُ مدة طويلة ولأول مرة نمتُ مطمئنة مِثل طفلة وجدت شيئًا يعوضها عما فقدت.

***

بدأ أسبوع دراسي جديد، وكأن هذه المدرسة لا تنتهي أبدًا، لم أستطع إلى الآن أن أتخلص من الامتحانات القصيرة التي تتكاثر بطريقة عجيبة، كان هذا الأسبوع مشابها للأسبوع السابق حيث أنني كنت أستيقظ وأنام على كتبي.

لم يتركني عمّار أواجه هذه المهزلة وحدي، كان يتصل بي مرتين أو أكثر في اليوم، يحدثني ويطمئن على حالتي المزرية.

- أنا تعبت أوي، عايزة أنام.

عمّار: بس إنتِ مخلصتيش.

ريڤانا: مش مهم، بجد مخي فصل.

عمّار: ريڤانا، اسمعي الكلام، هانت مش باقي غير خمس صفحات.

ريڤانا: إصرارك دا أكبر مشكلة في حياتي كلها.

عمّار: من ذوقك والله.

ومرت الأيام بوجود عمّار كانت مختلفةً جدًا كآن لوجودهِ معنى أخر بحياتي، كان هو جميع ما أملك، حقًا لا أريد غيره، أعلم أنه لَم يمضي كثيرًا على تعارُفنا ولكنه أخذ حيزًا كبيرًا بحياتي باهتمامهِ اللطيف بي، لا يمكنني أن أخرج عمّار من رأسي، ولا يمكنني أن أسمح له بالخروج من حياتي، أنا موقنة أنني سأعود بائسة وربما بشكل أكبر من السابق إن ذهب عمّار من حياتي.

***

هل شعرت يومًا بالخوف؟ هل تمنيت لو أنّك قريب من أحدهم حتى تخفف عنه القليل من ألمه؟ هل شعرت بالعجز وأن قلبك سيُقلع من مكانه من فرط قلقك وإرهاق تفكيرك؟

شعرتُ بكل هذا حين عدت من دوامي لأجده لم يرسل لي شيئًا كما اعتدتُ منه، أصابني التوتر والقلق لاختفائه هذا، لم يكن على طبيعته يومها، لم يقل لي "طمنيني لما ترجعي" ولم يتمنى لي يومًا جميلا كالعادة، لم يضيع وقته بالثرثرة الفارغة معي، بل لم يحدثني من الأساس.

ارسلت له : مختفي فين النهاردة ؟

لكنه لم يُجبني، عندم قَلِقت أرسلت عِدة رسائل متتاليه فهو ليس من عادتهِ أن يختفي !

- عمّار، أنتَ كويس ؟

- متقلقنيش عليك.

- ساعة مفتحتش !! أول ما تفتح طمّني عليك.

- عمّار، أفتح لو دقيقة بس أطمّن عليك.

قَلِقت عليهِ كثيرًا، ماذا لو حصل لهُ شيء ؟!

***

أجابني عمّار بعد أن مَر على اختفائه أكثر من عشرين ساعة، كان كل ما أرسله رسالة قصيرة جدًا ولم تخفف من قلقي شيئًا.

- ريڤانا آسف بس كنت تعبان جدًا ومقدرتش أفتح.

أجبته بسرعة وقلق: سلامتك مالك؟؟ قلقتني عليك جدًا متقفلش تاني.

عمّار : آسف أخدت الدوا ونمت.

ريڤانا : دوا ايه ؟؟

عمّار : امبارح حرارتي ارتفعت شوية رحت الصيدلية جبت دوا وروحت أخدته ونمت ولسه صاحي حالًا والله.

ريڤانا : طيب إنتَ احسن ؟ طمّني.

عمّار : الحمدلله، إنتِ كويسة ؟

ريڤانا : لا أعصابي تعبت بسبب حضرتك.

عمّار : حقك عليّ مش هكررها تاني بس والله ما بقدر أفتح وقت ما بكون تعبان وعشان كمان لوحدي.

ريڤانا : أحسن.

عمّار : خلاص متزعليش.

ريثانا : هنكد عليك والله بس لما تبقى كويس.

حقًا يومها شعرتُ بمرضهِ نفسه، كأن الله أصابني بمثله وأضعافه بعد، لا أريد أن يُصاب عمّار بشيء، أذكر يومها أني لم آكل شيئًا من فرطِ قلقي عليه، فسد مزاجي ويومي بشكل كامل، شعرت أن روحي تُسلب مني حين لم يُجبني، لم أكن أعتقد انني سأصاب يومًا بشعورٍ كهذا لشخص ما، لكن هذا ما حدث.

***

عندما استيقظتُ باليوم التالي وقبل ذهابي إلى دوامي أرسلتُ له:

- صباح الخير، أول ما تصحى طمني عنك ومتنساش تاخد الدوا ولو مفيش كورسات مهمة النهاردة ارتاح أحسن وابقى اقفل طول اليوم عشان النكد يبقى إكسترا.

على مدار يومي الدراسي لم يذهب عمّار من بالي أبدًا، قلقت أن تعود حرارته للارتفاع مُجددًا، دعوتُ الله مرارًا أن ينتهي هذا اليوم بسرعة، لأني أريد التحدث مع عمّار والاطمئنان عليهِ.

انتهى اليوم ولا أعلم كيف مرّ وانتهى بأعجوبة.

عندما وصلت إلى المنزل وكعادتي أول شيء أفعله أتفقد هاتفي لأرى ما أرسلهُ عمّار لي ..

- أنا أحسن متقلقيش، طمنيني إنتِ عنك؟ عندي كورس مهم جدًا لازم أحضره.

تنهدت باطمئنان وأرسلت له:

ريڤانا : عمّار أنا جيت، نزلت ؟

عمّار : لسه ساعة بس هنزل أجيب أكل.

ريڤانا : تمام بالعافية يارب.

عمّار : وحشتيني جدًا في اليومين اللي متكلمناش فيهم.

ريڤانا : وإنتَ اكتر، المهم دلوقتي نطمن عليك.

أكملنا حديثنا إلى أن أصبحت الساعة الثالثة وذهب عمّار الى محاضرته.

مَرت الأيام ولا أنام إلا عندما أطمئن عَليهِ ويكون هو أول من أحادثه عندما أستيقظ، عمّار أصبح شيئًا ثمينًا بداخلي بل أصبح جميع ما بداخلي.

***

وأخيرا انتهى هذا الأسبوع الممل على خير، كنت أسابق الريح حتى أعود للمنزل وأرى هاتفي.

وحين فتحته، لم أجده قد أرسل شيئًا، بل الكثير والكثير من الأشياء.

- أنا جيت، وحشتيني.

- ريڤانا، صاحية؟

- ريڤانا، صحيتي ولا لسّة؟

- ريڤانا، إنتِ كويسة؟ حصلك حاجة؟

- إنتِ يا زفتة، ردّي عليا.

- قلقتيني عليكي يا ريڤانا.

- اختفيتي فين؟

- تمام، خليكي كدا متردّيش، عموما انا كنت عايز اطمّن بس.

وكانت هذه الأخيرة، فأرسلتُ له على الفور:

- آسفة من تعبي امبارح نمت ومصحيتش إلا وقت الدوام.

وبعد طول انتظار أجاب بـ " ماشي ".

- متزعلش مني، أنا بجد كنت تعبانة من كُتر المذاكرة ونمت ومحدش صحاني.

أجابني : حضرتك تنامي وأنا أموت من خوفي عليكِ وعادي.

ريڤانا : مصحتنيش ليه طيب؟ كنت رنيت وأنا كنت هصحى.

عمّار : مفيش فايدة.

ريثانا : حقك عليا مش هتنام تاني خلاص.

عمّار : براحتك.

ريثانا : عشان خاطري خلاص.

عمّار : يا بنتي وحشتيني جدًا وخفت عليكي واللّه.

ريثانا : خلاص مش هتخمد تاني، وانتَ كمان وحشتني جدًا.

مَر ذلك اليوم وأنا أصالحه ولم يترُكني لأنام، أي عقاب هذا يا اللّه.

لم يكن ذلك هو اليوم الذي عاقبني فيه هو آخر يوم لنا، تلى هذا اليوم الكثير من الأيام الجميلة، ربما الهادئة أيضًا.

شعرت حقًا أنه لم ولن يكون مثل البقية، شعرت أيضا أنه الوحيد الذي يهتم بشأني كما أهتم أنا -كثيرًا- لشأنه.

كنت راضية جدًا بالقليل منه، ربّما لأن قليله كان يسعدني كثيرًا، وربما لأنني كنت قنوعة بشأن ما يقدّمه لي.

لقد كنتُ سعيدة لدرجة أنه خُيّل لي أن عمّار هو النهاية السعيدة التي كنتُ أنتظرها لحياتي البائسة.

**

الفصل الثالث

"شكلك مش عاوز ترد ، أنا هنزل، خلي بالك من نفسك"

كلما كان مقدار السعادة كبيرا كلما كبُر الحزن الذي ينتظرنا في نهاية المطاف، كانت أيامًا لا مثيل لها، جميلة وهادئة، كنا نزداد فيها اهتمامًا واعتيادًا على بعضنا أكثر، كنا نتشاجر كثيرًا ثمّ لا نلبث كثيرًا إلا ونحن نتحدث مجددا وكأن لا شيء حدث، ماذا يمكن أن أقول؟

كانت هذه أكثر الأيام التي أرضى فيها عن حياتي بهذا المقدار، لم أكن أمانع الحزن لأن هناك من سينتشلني منه، هناك من سينقذني دائما ولن يدعني أغرق في كآبتي كما تركني الجميع، أو هكذا ظننت أنا حتى أتى ذلك اليوم الذي لم يكن بالحسبان، كانت مجرد محاولة للبدء معه من جديد، لكن يبدو أنه حتى لم يكن يرغب بذلك، تشوش عقلي كثيرًا ولم أعد قادرة على معرفته، تبدّل كثيرا، عمّار المتفاهم تبدّل إلى شخص آخر تمامًا، لا أعلم هل كنت أنا المخطئة كما قال أم أنني من صدقت وعوده الكاذبة ؟

بدا عمّار كشخص حقير كان يتلاعب بمشاعري دون رحمة، لم يكُن يكفيه أنه خدعني بل استمر في كذبه حتى سئمت منه، تمنيت لو أنني لم أعرفه ولم أحادثه يومًا، تمنيت لو أنه يعود غريبا ولا أن يأخذ هذا الحيز الكبير من تفكيري، كرهت عمّار، بل كرهت كوني وقعت في حبه

وصدقته بسهولة، تغيرت تصرفاته معي كثيرًا وبدأ يظهر على حقيقته البشعة التي كان يخفيها عني، بدأ كل شيء في ذلك اليوم.

***

ريثانا : عمّار هو لو في حد مخبي عنك حاجه بتسامحه؟

عمّار : على حسب لو عرفتها منه آه هسامحه لو من حد غيره لا

ريثانا : يا شيخ ربنا يطمنك.

عمّار : آه يبقى في حاجه قولي يا ريثانا قولي.

ريثانا : لا لا مفيش كنت بسأل سؤال عادي.

عمّار : لا في يا ريثانا وهتقولي.

ريثانا : طيب هقولك بس مش دلوقتي.

عمّار : دلوقتي أحسن بدل ما اعرفها لوحدي ومسامحكيش.

ريثانا : اديني شوية وقت وأنا هقولك من نفسي بس مش دلوقتي خالص.

عمّار : يلا مستني وشوية وهتعصب ووقتها مش هسامحك.

ريثانا : اهدى بقا إنتَ ما بتصدق ؟

عمّار : يا بنتي قولي.

ريثانا : بس أنا خايفة أخسرك.

عمّار : طالما بتحكيلي عشان خايفة تخسريني أكيد مش هتخسريني.

لم أنطق بشيء، مرت خمس دقائق تقريبًا وأنا صامتة، أفكر في كيفية إخراج ما بجعبتي له، أفكر في ردة فعله أيضًا، لم يكن بالشيء الجلل الذي أخفيه، لكن عمّار كان يهمني بالفعل.

عمّار : اختفيتي فين يا بنتي !

ريثانا : موجودة.

عمّار : احكي يلا.

ريثانا : تمام تمام، عمّار أنا متأخرة بالدراسة سنتين، ومقولتش في الأول عشان مبحبش حد يديني يبصلي كإني صغيرة، وقولتلك دلوقتي عشان مش عاوزه تعرف بعدين وأخسرك.

عمّار : بس كدا ؟ كبرتي في نظري إنك قولتيلي عشان مش عاوزة تخسريني، وعادي أي حد بيتأخر في الدراسة.

كانت تِلك ردة فِعل عمّار، ردة فعل بسيطة ومقنعة بأن ما قلته لم يغير شيئًا بيننا، لكن تبيّن لاحقًا أنها لم تكُن الحقيقة.

فبعد ذلك اليوم وتِلك اللحظة تحديدًا ندمت أنني تحدثت إليه. ليتني بقيت على سِرّي، ليتني لَم أبوح به. خسرتُ عمّار، فقد تغيّرَ عمّار كثيرًا بعدما عَلِم، تحولَ إلى شخص آخر، لَم يكُن عمّار، بل كان شخصًا لَم يُحبني يومًا.

***

في الأسبوع الذي يلي اعترافي لعمّار، بدأت معاملة عمّار تتغير كثيرًا معي، أصبح لا يسأل إلا نادرًا، ففي منتصف هذا الأسبوع تحدّث معي لكن على غير العادة لم أبتهج بحديثه هذا إطلاقًا.

عمّار: ازيك عاملة ايه؟

ريثانا: الحمدللّه بخير، وحشتني، إنت طمنّي عنك.

عمّار: أنا تمام جدا الحمدللّه.

ريثانا: دايمًا يارب.

عمّار: يلّا عايزة حاجة؟

ريثانا: لا أبدًا، سلامتك.

مرّ باقي هذا الأسبوع دون شيء يُذكر، كانت أحاديثنا عبارة عن تعليقات قصيرة جدا مثل:

- عمّار: حلوة الصورة دي.

ريثانا: تسلم، عينيك الحلوة.

- عمّار: عندك امتحانات الأسبوع دا؟

ريثانا: لأ.

- ريثانا: عملت ايه في الكويز؟

عمّار: عرفتي منين انه عندي كويز؟

ريثانا: انت قلتلي الأسبوع اللي فات.

عمّار: آها.

كان ينتهي كل حوار بصمت طويل، دون سبب واضح، أو ربّما كان السبب واضحًا لكنّي أنا من أتجاهله، كانت مجرد أحاديث رسمية من باب الواجب لا أكثر، في بداية تعارفنا كنا نتحدث أكثر مما نحن عليه الآن، وقد أحزنني بالفعل ما آلت إليه الأمور.

أصبحتُ أنا من أبدأ بالحديث دومًا، لو كُنت أعلم بأن نهايتنا ستبدأ حين أعترف له لأخرستُ لساني حينها.

ريثانا: عمّار؟

عمّار: عيوني.

ريثانا: فينك مش بتسأل ليه؟

-انتظرت لمدّة خمس دقائق حتى تكرّم عليّ وأجابني:

عمّار: لا مفيش، مشغول بس في الجامعة اليومين دول.

ريثانا: آها، ربنا يوفقك.

عمّار: تسلمي ياحلوة.

ريثانا: يلّا مش هعطلك

عمّار: تمام.

كان هذا أحد أحاديثنا القصيرة التي كثُرت فيما بعد، لم أعتقد أن عمّار سيتغير كليا فقط لمجرد فارق في العمر، أنا مازلت ريثانا التي عرفها أول مرة، لكنه اختلف كثيرا عن عمّار الذي لطالما عرفته وأحببته.

مَرت الأيام مرورًا عاديًا عمّار أصبح باردًا جدًا إتجاهي، وكأننا لَم نعرف بعضنا قط، بالفعل كنت أشعر أني أتحدث إلى شخص آخر غير الذي اعتدت عليه، أنا الآن أتعرف على عمّار لأول مرة.

تعلمتُ حينها وبعد ذلك الموقف، أنه لا يجب عليّ تصديق مشاعر إلكترونية، جاءت من خلفِ الشاشة، اهتمامًا دامَ ليومين فقط من أجل التسلية وملء فراغ، كُنت مجرد عابرة

بالنسبة لِعمّار، ولكنني أحببتهُ كثيرًا، نعم حينما كان يُمثل بأنه يُحبني أحببتهُ أنا، هذهِ الحياة ليست عادلةٌ.

***

انتهى هذا الأسبوع بشكل بائس جدا بالنسبة لي، في حين أنني كنتُ حزينة وأفكر كثيرًا كان عمّار يستمتع بحياته، لم يظهر لي أن قلة أحاديثنا تؤثر على مزاجه كما كان يحصل معي.

جاء يوم ميلادي، ظننتُ أنه سيكون مختلفًا بوجود عمّار ! وأن معايدتهُ لي لن تكون مِثل البقية.

بالفعل لم تكن مثل البقية لكنها كانت الأسوأ، تمنيت لو أنه نسي ولم يُعايدني، حينها كُنت سأحزن قليلًا ولكن ليس بقدر حُزني على مُعايدتهِ الباردة لي.

حين جاءت الساعة الثانية عشر وصلتني الكثيرُ من الرسائل الطويلة المُبهجة من صديقاتي لكنني ذهبتُ الى رسالة عمّار. لم أجد لها وصف غير أنها عادية جدًا.

لا أصدق أنني انتظرت يوم ميلادي فقط من أجل أن أقرأ معايدته لي، لكنه أصابني بالخذلان والانكسار، شعرت أن قلبي تحطم وأصبح مجرد فتات، أنا أشعر بشيء يشبه البُكاء لكننّي مع الأسف لا أبكي.

لم أنتظر منه هذه المُعايدة، أجبتهُ على رسالته وأغلقتُ هاتفي دون الاجابةِ على غيرها.

أين كان حماسه لِيوم ميلادي؟ وفرحتهِ تِلك! رحل كل شيء تِلك الليلة، أسفي عليكَ يا عمّار.

علمتُ حقًا أنني أخطأت حين كُنت خائفة على خسارته وأخطأت أكثر حين أخبرته، وكان هذا أول ما تعلمته من علاقتنا.

وبقيت أنا بنفس حالي ولم أتغيّر، كنت أظن أن تغير عمّار معي سيغير مشاعري تجاهه، لكنني لست مثله، كان لديّ أمل بأنه سيعود كما كان، كنت متأكدة من حبّه لي، لكن لم يخطر ببالي أنه حب مزيف منذ البداية، تماديت كثيرًا في ثقتي به، حتى أنني كنتُ أكذب ذاتي ومن حولي حتى لا أخسره، لم أسمح للشك يومًا بأن يدخل بيننا، لم أكن ألتفت للشكوك والحديث الذي يدور عنه، لم أكن لأصدق سواه، حتى أنني كنت مستعدة لتصديق حججه أيًا كانت، لكنه في المقابل لم يبذل أي شيء ليحافظ على ما بيننا، هو قد أنكر كل شيء دون خجل، كأننا لم نكن من قبل سويًا.

وما أكد لي أن عمّار تغيّر كثيرًا تجاهي موقفه حين أخبرته أنني مريضةٌ في يوم ولم يكترث لِهذا.

ريثانا : صباح الخير طمني عنك.

عمّار : الحمدللّه كويس وإنتِ ؟

ريثانا : تعبانة جدًا صاحية مش قادره آخد نفسي.

عمّار : آها سلامتك حاولي ترتاحي أو روحي لدكتور.

وبعدها اختفى عمّار تمامًا لبقية اليوم، وفي اليوم التالي حينما أتى لم يسألني كيف أصبحت وكأنه سَحب اهتمامه كاملًا.

مرضي الأول كان بسبب تغيّر عمّار ولكنه لم يُلاحظ، لم يكُن مرضي جسديًا بقدر ما كان نفسيًا. كان بإمكانه أن يُخفف آلامي كُلها بمجرد سؤاله ولكِنه كان يرى أن هذا كثيرا من اجلي ! وكان هذا ما أحزنني كثيرًا.

في الواقع أنا لم أستسلم لانسحاب عمّار من حياتي، أو ربما أنا لم أستطع أن أتقبل حياتي دون وجوده، بقيت أحاول جاهدة أن أصل الخيوط الذابلة بيننا، مددتُ يدي لعلّه يمسك بها فينتشلني من فراغ أصاب حياتي وقت غيابه، بقيت متمسكة بحبّي لعمّار حتى تقطعت أنفاسي وهلكت روحي، وكانت هذه إحدى محاولاتي التي باءت بفشل ذريع.

- وحشتني طمني عنك ؟

- مختفي ليه قلقتني عليك.

- عمّار.

- افتح لو دقيقة طمني عنك.

- انتَ كويس ؟؟

- كنت فاتح من دقيقتين ومرديتش.

- عمّار.

- بتفتح ومبتردش ! الحمدلله انك كويس، تصبح على خير.

حينها أجابني بـ "آه كويس متقلقيش".

تلك الليلة كانت طويلة جداً وحزينة كذلك.

صباح اليوم التالي قررت أن أكرر المحاولة فأرسلت له:

- صباح الخير.

انتظرت كثيرًا، ربما ساعتين أو أكثر، وحين لم يُجبني -رغم أني على يقين بأن الرسالة قد وصلته- أرسلتُ له رسالةً أخرى:

- شكلك مش عاوز ترد، أنا هنزل، خلي بالك من نفسك.

مَر يومين وأنا على هذا الحال؛ أرسل لعمّار مئة رسالة ولا يُجيب! وأستيقظ لأجده أجابني بعد موعد نومي بدقائق، تأكدت بأنه كان متعمدًا، إنه لا يُريد أن يُحادثني.

أصبحت الايام متشابهة، لم أتعود على غياب عمّار ولازلت أنتظره أن يُحادثني، لا أعلم لماذا لكنني بالفعل كنت مستعدة لانتظاره لمدة أطول، كنتُ سأسامحه فورًا، حتى أنني لم أكن لأعاتبه على ما فعل، فقط لنعد كما كنا وأنا سأنسى كلّ شيء.

***

اقترب ميلاد عمّار، ميلاده يَلِي ميلادي بأسبوعين فقط، أنتظره وكأنني أنتظر ميلادي أنا.

ورغم كل ما مررت به وتغيّر عمّار وتعمده في الابتعاد عني ؛ إلا أنني أنتظر هذا اليوم لأفعل كل ما بوسعي لأسعده، أحسبُ الأيام والساعات والدقائق، وهو لا يهتم لهذا.

كان يخبرني أنه يشعر بالسعادة عندما أحسب له ولَكنه كان يُمثل لا أكثر، تمنيت لو كان كُل هذا مجرد حلمٍ أو كابوس.

ماذا لو أنني لَم أخبره ؟ ماذا لو بقيّ عمّار كما كان ؟

لا يوجد أبشع من شعور الندم على أمر فعلته حتى ولو أنك تعلم بأنه الصواب.

فكرة أن عمّار لم يُحبني بصدق لم أتقبلها، عمّار لم يكُن هكذا، أشعر بوجود شخص آخر في حياته جعله يتغيّرَ تِجاهي ويبتعد عنيّ، لكنني سأعلم كُل شيء حتى لو كان سيؤلمني.

كُنت بين فكرتين وأكثر، هل كان يُحبني عمّار ؟ لِم تغير؟ هل يوجد شخص آخر ؟ أرجوك يا اللّه أن ترحمني من هذا، إنهُ شعورًا لا يُطاق.

وكعادتي أبدأ يومي بمحادثة عمّار، عندما استيقظت أرسلت له:

- عمّار صباح الخير، وحشتني.

أجابني بعد مرور دقيقةٍ واحدة "وحشتيني أكتر".

لم أصدق أنه اهتم أن يُجيبني فور إرسالي، والأخرى أنه اشتاق لي ! يبدو أنه أخطأ، وأكملت حديثي معه.

ريڤانا : عامل ايه طمني عليك؟

عمّار : الحمدللّه كويس وإنتِ ؟

ريڤانا : بخير.

عمّار : ربنا يديمك بخير يا قلبي.

ريڤانا : والك يارب.

عمّار : عمري بتعمل ايه؟

هذا لم يكُن عمّار، إنه شخصٌ مختلف تمامًا!

هل أصدق بأنه قد عاد مُجددًا ؟ أم كانت تِلك فترة مؤقتة ؟ أم أن عمّار يأتي وقت فراغه لا أكثر ؟ ذهب عقلي من أفعال عمّار الغبية.

أعلم بأنه سيُقال عني أنه لا يعجبني شيء لا قربه أو سوء تصرفاته! ولكن هل سيظل هكذا يأتيني وقت فراغه وغيرها لا يُجيبني ؟

حتى أيامي تِلك، حين لم أكُن أحتاج غيره لم أجده، أي خيبةٍ هذه، لم أتركه وقتما احتاجني وبدون إخباري بذلك ولم أجده وقتما احتجته، كان عمّار يغيب كثيرًا، يُجيب مره ويختفي عشرًا، ثم يعود وكأن شيئًا لم يكُن ! ويجدني كما أنا.

يبدو أنني المُخطئة بهذا وليس عمّار، كان يجب عليّ أن أجعل المعاملة بالمثل ولكنني كُنت أحبه ولم أكن أكذب في هذا.

***

غدًا وأخيرًا هو يوم ميلاد عمّار، كُنت أريد أن نبقى سويًا طِيلة اليوم، لتنتهي سنة معي وتبدأ أخرى جديدة معي، ولكنه لم يُعطني اهتمامًا و في الواقع لم يجبني إلا في وقتٍ متأخر جدًا، أخبرني أنه كان مشغولًا كثيرًا - عنّي - وحين فرغ من أشغاله أجابني، ثم رحل مجددا، شعرت كأنه كان شبحًا واختفى.

كتبت له مُعايداتٍ كثيرة، وقبل أن تأتي الساعة الثانية عشر؛ أرسلت لهُ كم يتبقى مِن الوقت، ولكنهُ كعادتهِ لَم يُجب، من فرط حماسي بقيت بالمحادثة حتى تُصبح الساعة الثانية عشر لِتُعلن مجيء يومِ ميلاد عمّار.

وبعد طول انتظار، ها هي الساعة الثانية عشر قد أتت، في أول ثانية منها كان قد وصلته رسالة مني، حملت رسالتي الكثير من الكلمات والمشاعر التي حملتها بداخلي دومًا، كنت أكثر الناس فرحةً بيوم ميلاده، لهذا أرسلتها وانتظرت ردّه فقط لتكتمل فرحتي.

أردت أن أقضي أول ساعات عامه الجديد معه، أردت فقط أن أشعر بسعادته لأصاب منه بالعدوى، رأيت جميع الرسائل التي شاركها أصدقاؤه معه، كل دقيقة كان ينشر إحداها ويجيب عليها بكلام مماثل، لكنه لم يُجب على رسالتي، انتظرت

كثيرًا وبعد سبع دقائق بالضبط أجابني، وكان جوابه كعدمه، قصير جدًا وبارد كثيرًا.

وكأنّ ردّه القصير لم يكن كافيًا، أنهيت تلك الليلة برؤيتي للأحداث تتطور من حوله، كان سعيدًا لكن بعيدًا عنّي !!

لم تكُن حالته التي يشاركها تعبّر عن أصدقائه ويوم ميلاده فقط، بدا أنه كان مهتمًا بأحدهم بشكل خاص، كان ذلك واضحًا بالنّسبة لي أكثر من أي شيءٍ آخر، كل كلمات الحب والملاطفات لم تكن لي أنا - من أحبَّته دائمًا، ردوده لم تقتصر على الامتنان فقط، بل عبّر فيها عن الكثير من "مشاعره"، لم أكُن وحدي من أنتظر يوم ميلاده، بل كانت إحداهنّ تشاركني في هذا، شارك هديتها وبعض الصور التي صمّمتها -خصيصًا له، الكثير من الكلام المُبهم الذي أوضح للآخرين - ولي أنا كذلك - أنها هي حبيبته وليس أنا، يوم ميلاد عمّار اكتشفت أنه استبدلني بها، استبدلني بـ وتين، يوم ميلاد عمّار كان الأسوأ على الإطلاق، ومن هنا كانت بداية المعاناة.

***

الفصل الرابع

"بس أنا بحبك وعاوزك ليا"

استمرَ حُزني على أفعال عمّار لوقتٍ طويل جدًّا، لَم أجد سِوى صديقتي المقربة دالين، دائما مآ كُنت أذهب لها وَقت حُزني، رُغم معرفتنا القريبة إلا أنني اعتبرتها مِثل أختي، كُنت أشاركها سعادتي مع عمّار وأيضا غضبي منه على أفعاله.

في ذلك اليوم وبعد مشاهدتي ما شاركه عمّار مع الجميع قررت بأنني سأخرُج من حياتِه، كُنت أعلم أنه لا يوجد إثبات أكبر مِن هذا بأن عمّار لا يُحبني وأنه يوجد أخرى بقلبه.

شعرت أنني تائهة، أخرجت غضبي كُله عند دالين:

- عملتله بلوك، أنا كنت متأكدة إنه بيحب واللّه.

دالين : ايه اللي حصل بس احكيلي واهدي متتسرعيش.

ريڤانا : بيحب واللّه، تغيير عمّار معايا مش سهل.

دالين : يا بنتي متأكدة كده ليه، شيلي البلوك واتفاهموا ومتتسرعيش يا ريڤانا عشان متندميش.

ريڤانا : فكرة إني استنيت كل دا وكل حاجة كانت بتثبت لي إنه مبيحبنيش وفضلت جنبه وبحبه فأنا فعلًا متسرعتش.

دالين : كلميه طيب حاولي تفهمي منه.

ريڤانا : مش هكلمه خلاص كل اللي بينا انتهى.

دالين : لو مش هتكلميه هكلمه أنا !

ريثانا : هتخسريني بجد لو عملتي كده.

اختفت دالين بعد هذه الرسالة، ربما هي تعمّدت أن تتجاهلني حينها، ولم أفكر سوى بأن ما حصل بعد ذلك كانت قد فعلته من أجلي، وكان هذا ما حصل.

حين أرسلت لي في اليوم التالي:

دالين: ريثانا، ردي بسرعة.

ريثانا : في ايه يا بنتي ؟

دالين : كلمته !! بيحبك يا ريثانا والله.

ريثانا : أنا قولتلك متكلميهوش.

دالين : مقدرتش أشوفك بتحبيه وزعلانة عليه ومكلموش.

ريثانا : ليه عملتي كده !! أنا مش عاوزاه !

دالين: لو عرفتي قالي ايه هتسامحيه، حلف لي إنه بيحبك إنتِ ووتين دي بنت خالته مش أكتر.

لم أجبها، في الواقع كنت أفكر فيما عليّ قوله لكنها أكملت.

دالين: والله العظيم حلف لي إنها بنت خالته.

ريثانا : وهو اي حد يحلف نصدقه ؟ اللي عاوز يداري كدبته بيحلف.

دالين: عشان خاطري شيلي البلوك هو بيحبك.

ريثانا: عايزة إثبات على اللي قالهولك.

دالين: تمام، خدي باسوورد الحساب اللي كلمتُه عليه.

ريثانا: تمام هاتي، انا بعمل كدا عشان اعرف اذا كان صادق.

دالين: تمام انا عارفة.

وبالفعل سجلت الدخول إلى حسابها وقرأت المحادثة التي دارت بينهما، كانت بالفعل كما قالت.

يحبني؟!، هذا ما فكرت فيه، هل هو حقا يحبني أم أنه يدّعي هذا لينفي الخطأ عن نفسه؟!، هل تسرعت في الحكم عليه؟

خضت صراعا طويلًا مع نفسي، لربما كانت دالين محقة، لربما كان عمّار يستحق فرصةً أخرى، لكن!! هل يفرح المرء بابنة خالته إلا إن أحَبها!!

بعد الكثير من التردد وبلحظة حاسمة -فاشلة- رفعت الحظر عنه، لم أكُن أحتاج إلا شخص مثل دالين يدفعني لهذا الفعل الأحمق، لأنني بالفعل أحببت عمّار كثيرًا، كنت أتمنى أن

يكون هذا سوء تفاهم لا أكثر، مع أن حدسي لم يكن مطمئنا أبدًا لهذا.

أردت حقًا معاتبته، مصارحته بالحزن الذي أصابني بأفعاله، أردت اتهامه بإهمالي وأنه لم يبالي بي أبدًا، وفي النهاية أردت إخباره أنني بالفعل اشتقت له رغم أنه لم يفُت سوى عدّة ساعات.

كل ما أردته قد تلاشى حين وجدت أنني جامدة متبلدة، كل لهفتي عليه قد ذهبت أدراج الرياح، شعرت بوخزة في قلبي سببها أنني قد سئمت من عمّار بنفس القدر الذي أحببته به.

وصلتني رسائله.

- وحشتيني، حد يعمل اللي إنتِ عملتيه دا!

ريثانا : آه أنا.

عمّار : ليه مجتيش تكلميني وتقوليلي حصل ايه؟ ليه مفكرتيش تديني فرصه افهمك، ليه على طول مشيتي ؟؟

ريثانا : مفيش مجال أصلا وكل حاجة واضحة.

عمّار : بس أنا بحبك وعاوزك ليا، وكل اللي في دماغك دا غلط.

حسنًا، لقد أصابني الاستغراب من رسائله، شعرت أنني بالفعل قد ظلمته، حتى أنني بدأت بالاقتناع بهذه الفكرة، كانت رسائله مناقضة تمامًا لأفعاله التي رأيتها، لم أستطِع ألا أن أصدقه رغم أن الشك لم يغادرني، بقيت أفكر طيلة اليوم "هل هو بالفعل يحبني؟" وعدت إلى نقطة البداية.

***

لم أخطئ حينما قُلت بأنني عدت إلى نقطة البداية.

أشعر أنني تائهة ولا أعلم إلى أين أذهب، صديقتي هي الشخص الوحيد الذي صدق أقاويل عمّار، أما أنا فكُنت على يقين بأن ما قاله عمّار لَم يَكُن صحيحًا، وأنه مجردِ كلامٍ لإنهاء ما حصل.

رُغم حُبي لَه إلا أنني كُنت أعلم بأنه لا يُبادلني حتى القليل مِنه، خذلني عمّار والآن هو يعود مِن أجل تكرار ذلك.

فبعد آخر حديث بيننا، تبدلّت أحوال عمّار كثيرًا، لن أقول أنه عاد مثلما كان في البداية، لكنه عاد لتمثيله مجددًا، ففي اليوم التالي استيقظت لأجد عمّار قد أرسل لي رسالة محتواها:

" صباح الخير ياحلوة، كلميني لما تصحي ".

قرأت وقت الرسالة لأجدها أرسلت منذ نصف ساعة تقريبا فأجبته:

- صباح النور.

عمّار: ازيك عاملة ايه؟ طمنيني عليكِ؟

ريثانا: أنا تمام الحمدلله، إنت ايه اخبارك؟

عمّار: الحمدلله بخير بس وحشتيني.

لم أستطع تحديد شعوري حينها لكن التردد كان يغلبني، كنت أحارب نفسي التي تريد تصديقه وفي ذات الوقت لم أستطع أن أرّده خائبا رغم أنه لم يفعل هذا معي، في النهاية أُجبرت على إجابته:

ريثانا: وانت كمان وحشتني أوي.

عمّار: قوليلي بقا عندك مزاكرة ولا حاجة النهاردة؟

ريثانا: لا معنديش حاجات مهمة.

عمّار: جميل، كدا أقدر استغل الوقت اقضيه معاكِ زي الأول.

ريثانا: أنا كنت دايما موجودة على فكرة، بس إنت اللي اتغيرت عن الأول.

عمّار: عايزك تعرفي إنه أيامي من غيرك كانت سيّئة جدا، كانت بطيئة وكئيبة جدا.

ريثانا: إنت السبب في كدا مش أنا.

عمّار: خلاص بقا سماح المرة دي.

هذا ما كان يحاول عمّار فعله على مدار ثلاثة أيام متواصلة، كان يحاول أن ينسيني ما حدث بالفعل، كان يحاول أن يشتتني عن تلك الصور، بل عن تلك الفتاة تحديدًا، كان يبالغ في لطفه وكلامه المعسول، لم يكن هذا ما يخيفني، بل ما أخافني بالفعل هو أن أعود مع عمّار إلى البداية، حيث كنت أصدق أي شيء يقوله دون تفكير.

لكن خوفي من تحول عمّار لم يدُم طويلا، لأن عمّار عاد كما كان بعدما اعترفت له، شخصا غريبًا، يظهر فجأة ويختفي فجأة أيضًا، كان ظهوره واختفاؤه عائدًا لحالته المزاجية ربما، لكنني لم أعرف سببًا حقيقيا لهذا إلا لاحقًا.

فمثلا في يومٍ ما حدثني عمّار بطريقة حزينة جدا وبائسة جدا جدا.

عمّار: ريثانا؟

ريثانا: عنيا.

عمّار: أنا مخنوق، مدايق جدا ومش عارف اعمل ايه.

ريثانا: ايه السبب؟ حصلت حاجة وحشة معاك؟

عمّار: مشاكل في البيت والدراسة، علاقاتي بتبوظ مع الناس، كل حاجة وحشة ومش كويسة خالص.

ريڤانا: كل حاجه هتعدي، متتعبش نفسك ونفسيتك وسيبها على ربنا، ركز في مذاكرتك عشان تعدي، متقلقش أنا معاك.

عمّار: تسلمي، ربنا يخليكِ ليا.

ثمّ ماذا !! لا شيء، لم يتحدث بعدها لأنه اختفى فجأة، كان هذا محيرا جدا، قلقت كثيرًا، ربّما حدث معه شيء سيّئ بالفعل، لكن الحقيقة كانت أنه اختفى ولم يبالي، كانت تصله رسائلي ورغم لا يقرؤها ولا يجيب عليها، وكم كان هذا قاسيًا منه.

اختفاء عمّار لم يكن قصيرًا، لأنه استمر في تجاهلي لمدة أسبوع كامل، كنت أحاول الاطمئنان عليه، رغم أنني شعرت بالكره لتصرفاته هذه، حتى أنني سئمت في النهاية وقررت تجاهله كما يفعل معي، لكن كان لهذا ردة فعل غريبة منه.

فبعد أن توقفت عن إرسال الرسائل بيوم أو أكثر، أرسل هو رسالة قصيرة كان محتواها "ريڤانا؟" فتجاهلتنا ولم أرد عليها، لكن كما أخبرتكم سابقًا كان لهذا ردة فعل عكسية،

فعلى عكس ما توقعت استمر في إرسال الرسالة ذاتها حوالي عشرون مرة، وحينها فقط أجبته:

- ها عايز ايه؟! ريثانا ريثانا ريثانا، مش بتتعب؟ حصل ايه!

عمّار: انتِ ازاي متردیش علیا؟

ريثانا: بنفس الطريقة اللي مكنتش بترد بيها عليا.

عمّار: ريثانا بطّلي استفزاز.

ريثانا: انا معملتش حاجة على فكرة، انتَ اللي شكلك فاضي وجاي تتخانق معايا.

عمّار: أتخانق معاكِ؟ ليه شايفاني عبيط؟

ريثانا: شايفاك متعصب من غير سبب.

عمّار: طبعا لازم اتعصب، لما أبعت ومتردیش عليا والمفروض انك بتحبيني.

ريثانا: إنت كنت بتعمل معايا كدا طول الاسبوع اللي فات والمفروض بردو انك بتحبني.

عمّار: يعني إنتِ بتردهالي؟

ريثانا: مش بردهالك ولا حاجة، إنت اللي متعصب على حاجة تافهة.

وهكذا استمر شجارنا لمدة ساعتين، وفي النهاية لم أستطع معرفة سبب غضبه، شعرت أنه يريد تحطيم أي شيءٍ أمامه، شعرت أنه لم يجد سواي ليفرّغ فيه غضبه.

***

الفصل الخامس

"لكن دالين حابب أعرف بتفكر إزاي،

حلو إنك تتعرفي على ناس جديدة كل فترة"

دالين، أخبرتكم سابقًا عنها، كانت هي الخيط الواصل بيني وبين عمّار، لا أستطيع أن أصف لكم كم كنت أحبها، كيف كانت صداقتنا قوية، كيف كانت شخصا جميلًا وأصبحت شخصا لا أرغب في معرفته أو تذكره.

حين تعمقت صداقتنا، كنّا نسهر سويًا، ورغم أنني في بلاد مختلفة كنا نختار فيلمًا لنشاهده وبيننا مكالمة نتحدث فيها، كنا نتحدث بالصوت والصورة لساعات طويلة دون أن نملّ.

كانت أحاديثنا مليئة بحب لم أجد له مثيل، كانت الثقة بيننا ليس لها حدود، في أيام امتحاناتها كانت تطلب مني أن أدعوا لها.

دالين: ريثانا؟

ريثانا: عنيها.

دالين: عندي امتحان انجليزي بكرة، خايفة جدا.

ريثانا: طب انتِ ذاكرتي ولا لسّة؟

دالين: أيوة ذاكرت بس بردو خايفة.

ريثانا: متقلقيش باذن الله هيكون سهل وهتحلي فيه كويس.

دالين: يارب ياريثانا يارب، ادعيلي.

ريثانا: ربنا يفتح عليكِ ويوفقك يارب، هدعيلك في كل صلاة.

دالين: انا بحبك اوي، تسلميلي.

في أحد الأيام حين أتى وقت الإجازة الصيفية وأخبرتها عن اقتراب موعد عودتي إلى مصر أرسلت لي.

- أخيرا هشوفك، أنا هطير من الفرحة.

ريثانا: دا أنا اللي هطير من الفرحة أقسم بالله.

دالين: هلف معاكي كل مكان، كل حتة، هنمشي في كل شارع.

ريثانا: أيوة طبعا، أخيرا بقا.

كنت أرى أنها تحبني كثيرًا، لم أتوقع أن تأخذ علاقتنا منحنى آخر غير الحب، منذ اليوم الذي تصالحت فيه مع عمّار تغيّرت تصرفاتها، كانت تغض النظر عن تصرفاتها التي تتضايقني، ربّما كانت تتعمد ذلك، لأنها كانت تتجاهل تماما شعوري تجاه ما تفعله.

فبعد تصالحي مع عمّار بأيام، في الفترة التي تجاهلني فيها وصلني تنبيه من حسابها، ولم يكن سوى عمّار، كانا يتحدثان سويًا كأفضل صديقين قد تراهما، ما أحزنني هو قلقي على عمّار الذي ذهب هباءً، كان يجيبها ويتجاهلني، كم كرهته في ذلك اليوم، وكان هذا جزءً من حديثهم.

عمّار: عاملة ايه؟

دالين: تمام، انت عامل ايه؟

عمّار: انا تمام.

دالين: اتصالحت مع ريڤانا؟

عمّار: ايوة اتصالحنا وبقينا تمام، حتى إننا بنتكلم كل يوم.

***

لم أستطع أن أشاهدهم وأصمت، دخلت في الحديث معهما من حسابها، علم عمّار بوجودي بينهما، كنا نمرح، أو ربما هما من كانا يمرحان، وجدت أنه بطريقة ما لا يرغبان بوجودي فانسحبت بهدوء، واستمر حديثهما بعد ذلك لأكثر من ساعة.

بماذا قد تشعر إن شعرت أن أقرب الأقربين إلى قلبك ينصرفون عنك؟ بماذا قد تشعر عندما ترى حالهم معك يتبدل أمام عينيك؟ حتما ستصيبك الوحدة والفراغ، لن

تجد السند الذي اعتدت عليه، أنت لن تجدهم بجانبك عندما تحتاجهم لكن في المقابل أنت جاهز تمامًا لتكون بقربهم في الوقت اللازم.

هذا ما كان يحصل مع دالين، كنت أراها كل يوم تبتعد عني خطوة دون أن تلاحظ، كنت أغضب منها دون أن أفصح، وكنت أواسيها كثيرًا دون أن أتعب.

دالين: ريثانا!

ريثانا: عنيا.

دالين: شفتي رامي عمل ايه؟

ريثانا: لسة بيطنشك؟

دالين: الأخ اونلاين ومش بيرد، اونلاين على الوتساب بالساعة والاتنين ومش بيكلمني، بينزل حالات ومش معبرني خالص يا ريثانا.

ريثانا: يابنتي أنا قولتلك ابعدي فترة يمكن يحس.

دالين: أنا هموت من قهرتي يا ريثانا، قوليلي أعمل ايه.

كانت هذه إحدى محاولاتي بجانبها، لم أستطع إلا أن أكون معها كما اعتدت، حين كان الحزن يصيبها بسبب حبيبها - رامي- كنت أواسيها وأشجعها، لم أرغب في شيء إلا أن تكون

سعيدة، رغم أن رامي هذا لم يكن يستحق الكثير من التعب لأجله.

على ذكر رامي، لقد كنا على معرفة سابقة قبل تعرفي على دالين، وحين أصبحت صداقتنا قوية توقفت عن الحديث فقط لأجلها، لأجل دالين، كنت أحرص على مشاعرها في حين أنها لم تبالي بما أشعر به في النهاية، بل أنني كنت حريصة عليها حتى النهاية، حين حاول رامي أن يعاود الحديث معي رفضت هذا بشكل قاطع، وهذا ايضا كان لأجلها، لكن حتى هذا ذهب هباءً.

في مقابل هذا كانت تتحدث مع عمّار كثيرا، أعلم أنه لو لم يسمح لها عمّار بهذا لما تجرأت على هذا، لكنها لم تعطي أهمية لي أيضا، هذا لم يكن خطأها وحدها، لكنها كانت المذنبة الأكبر في نظري.

في مرة سألت عمّار عن سبب تحدثهما بكثرة في الفترة الأخيرة، لكن لن تتخيلوا أنه أجابني بأسخف عذر قد تسمعونه.

ريثانا: شايفاك متفاهم جدا مع دالين، حتى انك بتكلمها أكتر ما بتتكلم معايا.

عمّار: أصل هي بتفهم في الكورة جدا، وأنا ما صدقت لقيت حد بيفهم فيها زيي كدا.

ريثانا: دا على أساس انه اصحابك ملهمش في الكورة يعني؟

عمّار: أكيد ليهم، بس انا خلاص حفظت وجهات نظرهم فيها، لكن دالين حابب إعرف بتفكر إزاي، حلو إنك تتعرفي على ناس جديدة كل فترة.

ريثانا: والله أنا اللي مش عارفة انتو بتفكروا ازاي!! خلصت المواضيع اللي في الدنيا لما تتكلموا عن الكورة.

عمّار: شفتي، انتِ اساسا مش بتحبي الكورة، أكيد مش هتفهميني.

لا أستطيع أن أصف لكم كمية الغباء التي شعرت أن عمّار يمتلكها، هل حقا يظن أن هذا عذر كافي فقط لتنشأ بينهما علاقة صداقة من العدم؟! أنا بالفعل لا أصدق هذا.

***

بعد كل الذي حدث سابقًا اكتشفت أنني لم أفقد الأمل أبدا، أردت دائما أن نعود أنا وعمّار كالسابق، وكنت أجاهد لأصل لهذا، ولأن دالين تعلم كل شيءٍ عني أخبرتها بهذا، أخبرتها أنني عازمة وبقوة على عودتي مع عمّار إلى ما كنّا عليه.

ريثانا : حاسة واخيرًا اننا هنرجع زي الأول، عمّار وحشني جدًا بجد.

دالين : بلاش الإحساس دا عشان ممكن ميحصلش، وتقريبًا أكيد مش ممكن.

ريثانا : ليه بتقولي كده؟

دالين : انا اللّي هقولك ليه بقول كده، افتكري انك كنتِ متأكدة إنه مبيحبكيش وإنه ميستاهلش فرصة.

ريثانا : ايه لازمة الكلام دا دلوقتي ! وبعدين مش إنتِ اللّي قولتي إنه يستاهل فرصة.

دالين : مش قصدي، بس مش عاوزاكِ تتوجعي تاني، خايفة عليكي يعني مش أكتر انتِ اختي يا ريثانا.

لم أستطع أن أجد ردًا مناسبا لفعلها هذا، رغم أن دالين كانت السبب لعودتي إلى عمّار، إلا أنها بحديثها هذا أقلقتني جدًا، لم أشعر بالراحة تجاهها، وهذا ما جعلني أستنفر من موقفها هذا.

***

في اليوم التالي أرسلت لي الكثير من الرسائل بطريقة غريبة جدا.

فأجبتها : ايه يا بنتي ؟؟

دالين : شفتي الحالة اللي نزلها عمّار النهاردة ؟

ريثانا : لا لسة صاحية، مالها ؟؟

دالين : شوفيها انتِ.

ريثانا : ما تقولي قلقتيني.

شاهدت الحالة التي نشرها كما أخبرتني ولم تعجبني مطلقًا، حاولت التحدث معها بسبب شعور الاختناق الذي داهمني، لكنها اختفت، لم تُجب ولم تكلف نفسها عناء الاطمئنان عليّ، أشعلت النار في صدري وتركتني أحترق وحدي.

لكنها أتت في المساء ..

دالين : ريثانا.

ريثانا : نعم ؟

دالين : وحشتيني.

ريثانا : وانتِ كمان.

دالين : هو إنتِ مبتكلميش عمّار ؟

ريثانا : بعتّله المغرب ولسه مارد.

دالين : غريبة إحنا بنتكلم من الصبح واستغربت يعني.

ريثانا : ماشي أنا هنام عشان تعبانة جدًا.

دالين : ما تخليكي نسهر كلنا سوا.

ريثانا : لا بايخة كملوا انتو، تصبحي على خير.

في ذلك اليوم نمت حزينة، نمت كوحيدة بائسة، كأنه لا يكفيني إهمال عمّار القاتل لتأتي دالين بأفعالها التي أصبحت لا تُطاق بتاتًا، أفعالها كانت موجودة لتؤذيني فقط، كانت تجرحني دون معالجة، حسنا، لربما قد اعتدت على هذا في الفترة الأخيرة لكنه مازال مؤلمًا.

***

الصباح التالي كان استثنائيًا، فرحت كثيرًا حين استيقظت ووجدت رسالة من عمّار، كنت سعيدة حتى قرأت محتواها، وخاب أملي أضعاف الفرحة التي داهمتني في البداية.

زادت خيبتي حين فكرت أن دالين أخبرته أن يتحدث معي، لم أستطع إلا أن أحزن على حالي وقتها.

عمّار : ريثا، حلوتي صباح الخير وحشتيني.

ريثانا : صباح النور، وانتَ اكتر.

عمّار : أحلى صباح دا ولا ايه.

ريثانا : شكلك صاحي رايق.

عمّار : جدًا، ووحشاني جدًا.

فكرت لدقيقة في كم سيستغرق من الوقت ليعود لإهماله لي؟

ريثانا : وانتَ اكتر، بتعمل ايه ؟

عمّار : بشوف جدولي وطلع معنديش حاجة، هتسهري النهاردة؟

ريثانا : معرفش لسه على حسب.

عمّار : على حسب ايه ؟

ريثانا : في حاجه اتفرج عليها ولا هسهر لوحدي زي كل يوم.

عمّار : لا حلوتي مينفعش تسهر لوحدها، انا كمان كنت بسهر على الكتب ومش بفتح الا عشان جروب الدفعة.

ريثانا : متأكد انو على الكتب برضو ؟

عمّار : ايوة.

ريثانا : تمام ربنا يجعله بفايدة.

عمّار : تسلميلي.

ريثانا : كتاب ايه بقا اللي هتسهر معاه النهاردة؟

عمّار : تلقيح دا؟

ريثانا : لا أبداً، مش إنتَ بتقول إنك بتسهر مع الكتب؟

عمّار : هسهر معاكِ النهاردة، من زمان مسهرناش سوا.

ريثانا : تمام.

أتمنى ألا تتفاجؤوا إن أخبرتكم أنه نام مبكرًا كالخِراف، ولم يستيقظ إلا في وقت متأخر جدًا، كأنه كان يتفاداني، ظلّ مستيقظًا لسبع ساعات متواصلة تقريبًا، وفي الخامسة فجرًا أرسل لي:

- آسف كنت تعبان ونمت من غير ما أحس.

يا إلهي .. إلى متى سيستمر قلبي في الانكسار، كلما خطر ببالي وقتها هو أنه ياليته لم يحدثني، أنا كنت حزينة فقط، لكن الآن أنا منكسرة، حتى أن صوت حطام قلبي لم يسمعه أحد.

أصبحت الأيام تمُر مرورًا عاديًا، اعتدت على تصرفات عمّار والأخرى دالين، كنت أحاول أن ألهي نفسي عنه، واقتراب موعد امتحاناتي كان يساعدني كثيرًا على ذلك، كُنت أغلق هاتفي لساعات لأهتم بدراستي، كان يقول عمّار بأن لي مُكافأة إذا حصلت على معدل عالي، كآن يسأل عنّي يومًا ويتجاهل عشرًا، حسنًا اعتدت على ذلك أيضًا.

عمّار : ريثا.

ريثانا : عيوني ؟

عمّار : عامله ايه، طمنيني عليكي ومذاكرتك؟

ريثانا : الحمدلله، بذاكر.

عمّار : يارب دايمًا.

ريثانا : ليا وليك يارب، بتعمل ايه ؟

عمّار : ولاحاجة هبدأ أذاكر بس قلت أطمن عليكي الأول.

ريثانا : ربنا معاك يارب.

عمّار : هسيبك تذاكري وأول ما تخلصي كلميني عشان وحشتيني.

ريثانا : تمام.

مرت الساعات وأنا منهمكة في دراستي، كنت أتفقد هاتفي من حين لآخر وأرى عمّار نشِط، كان ينشر حالات من حين لآخر، حين انتهيت أرسلت له رسالة كما وعدته.

ريثانا : خلصت ولا لسّة ؟

لم يُجب، هل شعرتُ بالغرابة؟ بالطبع لا، لأن هذا ما اعتدته منه في الآونة الأخيرة، لكنه أجابني بعد خمس دقائق.

عمّار: أيوة خلصت من مدة، قوليلي بقا ناوية تسهري النهاردة؟

لا ليس مجددًا، تذكرت حين نام وتركني في آخر مرة وترددت هل أخاطر بقلبي مجددًا أم أتجاهل عمّار بالكلية، وقررت أن ..

ريثانا : لا مش هسهر، هنام بدري عشان أصحى أراجع تاني قبل الفجر.

ولم يُجب مجددًا، واستمر الحال هكذا لمدة ساعة أو ساعتين، لا أعلم، لكن ما أعلمه أنها كانت أسوأ محادثة خضتها على الإطلاق، كان لا يجيب بسرعة رغم أنه متّصل، وحين ينشر حالة جديدة يجيب على رسائلي حتى لا يكون بمظهر سخيف أمامي، لا يعلم أنه قد شوّه صورته بالكامل مسبقًا، وأن الأمر لا يقتصر على سخافته فقط، بل تجاوز الحد ليظهر ك كائن سَمِج.

في آخر يومٍ ؛ وحين انتهيت من امتحاناتي، عدتُ إلى المنزل وحظيت بنوم عميق لبقية اليوم، لم أصدق أن امتحاناتي انتهت على خير، وأنني قد خرجت منها بأقل الخسائر الممكنة، شكرًا يا الله.

حسنًا، لم تكتمل راحتي بشكل كامل لأن عمّار لم يعجبه انعزالي عنه فترة امتحاناتي، كان عليّ أن أجد طريقة مناسبة لأرضيه بها، لأنني على عكسه تمامًا كنتُ أحبُّه حقًّا ولا زلت، ورغم علمي التّام بأن هذا ليس شعورًا متبادلًا بيننا، تجاهلت الهاجس الذي يشككني بحقيقة غضب عمّار منّي.

أرسلت له ..

ريثانا : وحشتني.

عمّار : كنتِ فتحتِ لو دقايق أطّمِن فيها.

تساءلت في نفسي بسخرية هل كلّفت نفسك عناء فعل هذا حين كنت أقلق عليك ؟

ريثانا : معلش كان عندي امتحانات ومش بفتح.

عمّار : حتى لو يا ريثانا قلقت عليكِ، متبعديش.

ريثانا : ينفع نتكلم النهاردة بالليل فون ؟ عاوزة اراضيك.

عمّار : ماشي هخلص مذاكرة واقولك نتكلم.

ريثانا : هستناك، ربنا يوفقك.

انتظرته لساعتين ...

عمّار : ريثانا، انا خلصت هنتكلم ؟؟

ريثانا : أكيد خلصت ؟؟ آه هنتكلم.

عمّار : آه خلصت الحمدلله.

ريثانا : تمام روح اتسحر وبعدها نبقى نتكلم.

عمّار : آه صح كنت ناسي.

ريثانا : ولا يهمك.

بعد فترة قصيرة ...

عمّار : يلا خلصت.

ريثانا : أرن؟

عمّار : تمام ربّي.

شعرت أن قلبي سيقف من فرط الخوف أو الخجل، حتى أنني بقيت كالبلهاء أردّد "يارب ميردش".

بدأت المكالمة، وبقينا نضحك لأكثر من خمس دقائق، انقطعت أنفاسنا من كثرة الضحك، تحدّثنا لأربع ساعات متواصلة وكان قد رضي فيها، لكن لن تتوقعوا ما حدث في النهاية ؛ لقد نام عمّار في أثناء ما كنا نتحدث، وبهذا انتهت المكالمة.

كانت مكالمتنا كعوض عن كل الحزن الذي عشته، كانت جميلة لدرجة أنني نسيت كل غضبي، صوت عمّار وضحكته كانت هي سعادتي حين يكون عمّار سببًا لأحزاني، حتى أنني كلما حزنت منه كنت أنتظر صوته فقط لأرضى حتى لو لم يعتذر.

***

ثمّ يأتي اليوم التالي وأستيقظ على رسالةٍ مِنه ..

- فرحت جدًا بمكالمة امبارح جدًا، صوتك فرّحني جدًّا.

تجدّد الأمل بداخلي بخصوص عودتي أنا وعمّار كما كنّا، كنت موقنة أنّ هذا لن يحدث في ليلة وضحاها، وأنّ هذا سيحصل بالتدريج حتى لو كان هذا التدرج بطيئًا، كنت متصورة أنّ هذه الخطوة الأولى نحو عودتنا سويًّا.

رغم السعادة التي أصابتني بسبب المكالمة، إلا أن سعادتي تحطمت حين تحدّثت مع دالين.

في ذلك الوقت كانت دالين متخاصمة مع حبيبها، لم أستطع أن أتجاهل حزنها فقط لأنّي سعيدة لهذا تحدثنا، وخلال حوارنا سألتني عن سبب سعادتي المفرطة، فقالت:

- إنتِ بعادتك مش بتضحكي !! مش غريبة انك مبسوطة ؟

ريثانا : كلمت عمّار أمبارح وكانت أول مكالمه بينا فرحت جدًا.

دالين : نعم؟ اول مكالمة ؟ وتعرفيه من شهرين!! انا اعرفه من اسبوعين وكلمته أكتر من خمس مرات يا بنتي.

وفي هذه اللحظة تحديدًا انقطع اتصال الإنترنت، وكأن القدر يواسيني ويمنعني من ارتكاب أي ردة فعل خاطئة معها.

نمت حزينة أكثر من أي وقت مضى، تلك الخيبة التي احتلت مشاعري وملامحي لم تكُن سهلة أو بسيطة مُطلقًا، تساءلت هل هي دائمًا صريحة بهذا الشكل المؤلم أم أنها تتعمد هذا ؟

هل هذه عفوية ودالين لا تنتبه لما تقوله ؟، لكن لا، الإنسان العفويّ لا يجرح.

ما أحزنني أكثر هو عمّار، بينما نتحدث سويًا لأول مرة تحدّث مع دالين آلاف المرّات، ما هذا الشيء المهم الذي يجعله يتحدث معها في مكالمات صوتيّة ؟

***

الفصل السادس

"هكلمه اقوله إني عاوزة اشوفه"

اعتدت أن أواجه الحزن بالنوم ، أن أبكي في أحلامي وأستيقظ لأكمل مواجهة الواقع المرير الذي أعيشه، وكنتيجة طبيعية لنومي الطويل الحزين استيقظت في منتصف الليل، وعلى عكس ما توقعت وجدتُ رسالة من عمّار.

- ريڤا حلوتي.

قرأتها وانتظرت قليلًا لأفكر في ردٍّ مناسب لا يظهرني متلهفة حمقاء، في النّهاية أجبته:

- أيوة ؟

وما يثير الدّهشة أنّه أجابني فورًا وكأنه كان ينتظرني، تساءلت في نفسي لماذا هو مستيقظ في وقتٍ كهذا.

عمّار : طمّنيني عاملة ايه ؟

ريڤانا : الحمدللّه كويّسة جدًّا، إنت طمّني عنك.

عمّار : أنا تمام الحمد للّه.

ريڤانا : قولّي بقا امتحاناتك هتبدأ امتا ؟

عمّار : آخر رمضان بإذن اللّه.

ريڤانا : ربنا يوفقك يارب، يلّا شد حيلك عشان تجيب تقدير.

عمّار : إن شاء اللّه، محتاجلك جنبي الفترة دي.

ريثانا : أكيد متقلقش، أنا معاك على طول.

عمّار : تسلميلي، ربنا ما يحرمني منّك.

انتهت امتحاناتي النهائية ليبدأ بعد هذا الاستعداد لامتحانات عمّار، أستطيع أن أخبركم عن مقدار الجهد الذي بذلته، كنتُ أشعر أنها امتحاناتي أنا وليس هو من فرط القلق الذي كنت شعرتُ به، وتزامنًا مع هذا بدأ شهر رمضان لذا واجه عمّار صعوبةً أكبر في دراسته، وما بذلته لأجله كان أكبر بكثير من المطلوب.

أول أسبوعين من شهر رمضان، كانت هذه هي فترة استعداد عمّار لامتحاناتِه، كانت اليوم يمضي في الدراسة ثمّ النوم ثمّ الدراسة ثمّ النوم وهكذا.

في الأسبوع الأوّل، كان عمّار يقضي أيامه في الذهاب إلى الكورسات وباقي يومه يقضيه نائمًا.

ريثانا : رجعت ولا لسّة ؟

عمّار : ايوة لسّة واصل.

ريثانا : حمدالله على السلامة، هتعمل ايه دلوقتي ؟

عمّار : هنام وابقي صحيني على المغرب.

ريثانا : تمام ، نام على طول ومتضيعش وقت، نوم الهنا.

عمّار : ماشي يا عنيّا.

مرت ثلاث أو أربع ساعات وهو نائم وقد أذّن لصلاة المغرب، كانت أطول محاولة لإيقاظي لأحدهم هي محاولة إيقاظي لعمّار في ذلك اليوم، اتصلت عليه خمسًا وأربعين مرّة، أرسلت له رسائل تجاوزت الخمسين رسالة.

خمسة وأربعون مكالمة فائتة ...

- عمّار.

- عمّار قوم المغرب أذّن.

- عمّار اصحى مستقبلك في خطر.

- اصحى يا أخي بقا عشان تذاكر.

- كائن الباندا قوم.

والكثير من الرسائل المشابهة، وبعد ساعة كاملة قضيتها في إيقاظه استيقظ ليجيب على رسائلي بكلمة " صحيت"، للأمانة كدت أسجد شكرًا لله لأنه استيقظ.

في أيام أخرى كنت أضطر للسهر معه، في حين أنه كان يذاكر كنت أقضي الوقت في تشجيعه لينجز أكبر قدرٍ باستطاعته أن يستوعبه.

وبعدما أعود من صلاة التروايح كنتُ أكمل ليلتي معه.

عمّار : ريڤانا، أنا تعبت.

ريڤانا : معلش باقي نص ساعة على السحور.

عمّار : مش قادر والله مخي وقف.

ريڤانا : خُد بريك خمس دقايق وكمل، دا فاينال مش لعب.

عمّار : أُفف يا ريڤانا، أكبر عنيدة في حياتي.

كان هذا ما يحصل على مدار أول أسبوعين من رمضان، إما أنه نائم وأنا مُكلّفة بإيقاظه، أو أنه مستيقظ للدراسة وأنا معه حتى لا يشعر بالوحدة.

بدأت امتحانات عمّار في اليوم الثالث عشر من رمضان واستمرت حتى الخامس والعشرين منه، ثلاثة عشر يومًا سهرت فيها أكثر ممّا نمت، كنت أطمئن عليه بعد كل امتحان، وبعد عودته كان ينام وأنا من أوقظه، كنت أبقى معه وقت دراسته حتى أنهى امتحاناته، لن تصدقوا ما حدث في النهاية.

ريڤانا : عمّار لما ترجع طمّني عملت ايه.

بعد وقت أجابني ...

عمّار : ريڤا، خلصت يا حلوتي.

ريڤانا : طمّني، الامتحان كان سهل ولا صعب؟ قدرت تحل كويس؟

عمّار : الحمدللّه ياعنيا، كان كويس جدا.

ريثانا : ختامها مسك يعني.

عمّار : أيوة الحمدللّه، قوليلي بقا هتعملي ايه دلوقتي؟

ريثانا : هنام طبعا، من امبارح منمتش من قلقي عليك.

عمّار : تمام ياحلوة، وأنا كمان هنام وهكلمك لما أصحى.

ريثانا : تمام.

لا يُصدّق، أليس كذلك؟ نام كلانا نومًا عميقًا، أو هذا ما تصوّرته أنا، لأنني حين استيقظت كان عمّار قد سبقني، لذا لستُ متأكدة من صدق ما حدث بالضبط.

***

ها هو وقت العودة إلى مصر قد أتى، زاد همّي كثيرًا فقط لأنني سأعود إلى هناك، لم أكُن أفضل الأشخاص الموجودين هناك، وفي المقابل لم نكُن الأفضل بالنسبة لهم، كان أسوأ وقتٍ بالنسبة لي هو وقت السفر، في الليلة التي سبقت سفرنا كنتُ أتحدّث إلى عمّار.

ريثانا : أنا مدايقة جدا واللّهِ.

عمّار : عارفة أحلى حاجة ايه؟

ريثانا : مفيش حاجة حلوة في مصر يا عمّار.

عمّار : إني هقابلك يا عمياء القلب والنظر.

ريڤانا : واللّه هو دا اللي مصبرني يا عمّار.

عمّار : هانت يا حلوتي، افتكري إننا هنشوف بعض.

صدّقت فعلًا أنها ستكون أجمل إجازة سأقضيها في حياتي، لكنها انقلبت عليّ من قبل أن أسافر من الأساس.

كانت الطائرة ستقلع في الليل، في اليوم الذي سافرت فيه تجاهلني عمّار تمامًا، لن تصدقوا أنني انتظرت رسالة واحدة منه، واحدة فقط يطمئن فيها عليّ، لكن ظنّي خاب للمرة الألف.

بعد صعودي إلى الطائرة وقبل أن أُغلق الهاتف أرسلت له رسالة كان محتواها "قيمة الناس بتبان في مواقف زيّ كدا"، ثم أغلقت الهاتف.

لم أتوقف هنا، قبل أن تقلع الطائرة بدقائق قليلة أعدتُ تشغيل هاتفي لأجد رسالة منه يقول فيها:

- مش فاهم، قصدك ايه؟

ابتسمت باستهزاء وأجبته ..

- مش لازم تفهم، لو كنت فهمت زمان كنِت فهمت دلوقتي.

انتظرت قليلا لأجده أجابني فورًا:

- أنا آسف واللّه، كنت مع أصحابي آخر يوم وكدا.

قرأتها وزاد سخطي، لأن هذا دائمًا ما يقوله وفي النهاية كنت أبقى وحيدة، أجبته سريعًا:

- لا عادي، الحاجات دي مبتتطلبش.

أجابني ..

- هعوضك أول ما تيجي مصر، هعوضك عن كل مرة سبتك فيها لوحدك ومكنتش جنبك، هعوضك وهبسطك أول ما تيجي، كل حاجه هتتزبط لما توصلي، بس لما توصلي طمنيني.

- حاضر.

وبعد هذا انقطع الاتصال بالإنترنت لأن الطائرة قد أقلعت في وقتٍ سابق.

استغرقت الرحلة ساعتين تقريبًا، واستغرق الطريق من مطار القاهرة إلى مدينتي ما يقارب ثلاث أو أربع ساعات، فوصلت في التاسعة صباحًا.

فتحت هاتفي فور وصولي إلى المنزل، وجدته قد قرأ رسالتي الأخيرة دون أن يضيف عليها أي شيء، لم يسألني هل وصلت أم لا، لم يكلف نفسه عناء الاطمئنان عليّ.

في ذات الوقت وجدت رسالة من شخص آخر، لم يكن هذا الشخص قريبًا مني بشكلٍ كافٍ ليطمئن عليّ لأننا لم نتحدث سويًا سوى مرتين أو ثلاثة، لكنّه علم بأمر سفري وفعل، بقي مستيقظًا ولم ينم حتى تأكد من وصولي ولم ينم إلا حين أخبرته أنّني سأنام، أجبته بامتنان وشعور الخذلان يزيد بداخلي، حدّثت نفسي قائلة" لم يفعل عمّار ما فعله الغريب معي! "، هل تدركون سخافة الموقف؟

كان واضحًا منذ البداية أنّ هذه الإجازة لن تكون كما تمنّيت، حين رأيت تجاهل عمّار نمت، خرج إرهاقي وحزني كلّه في نومي، تعلمون أنّ رسالة واحدة من عمّار كفيلة بتغيير حياتي كلّها لكنه لم يفعل.

لأيام متواصلة كنتُ أراه متصلاً، ينشر الكثير من يومياته السعيدة بشكلٍ يوميّ، والظاهر أنني لم أكن جزءً مهما من حياته.

في أحد الأيام التي خلت من عمّار، فتحت هاتفي لأضيع بعض الوقت فوجدت رسالة من دالين.

- ريفا أخيرًا جيتي، متحمسة جدًا اشوفك، ادعيلي اخلص امتحانات عشان اجيلك.

ريثانا : الكل متحمس إني جيت إلا أنا تقريبًا، ربنا يفرح قلبك ويوفقك.

دالين : هتتحمسي متقفليهاش في وشك كده، هتقعدي أربع شهور ازاي بوضعك دا ؟ بعدين كفاية إنك هتشوفي عمّار.

قرأت ردّها لأضحك بسخرية وأسأل نفسي أين هو عمّار أساسا؟ أجبتها :

- وهشوفك كمان مش عمّار بس.

دالين : لو مكانك مش هيهمني أشوف صاحبتي قد ما يهمني إني هشوف اللي بحبه.

لم أجب فتابعت:

- بس شوفتك عندي بالدنيا كلها.

ريثانا : خلصي امتحانات وفرحينا دا الأهم، أنا مطولة.

دالين : ادعيلي.

***

كنت أنتظر اليوم الذي سأرى فيه عمّار أو دالين، لكن مثلما قالت دالين أنا بالفعل متحمسة لرؤية عمّار رغم أنه لم يظهر رغبة حقيقية في هذا.

الفترة الأولى من إجازتي قضيتها في النّوم، كان الفراغ الذي لديّ كبير لدرجة أنني لم أجد ما يسليني، لم أكن أرغب في مقابلة أي شخص أعرفه، كنت أنتظر موعد عودتي إلى السعودية بفارغ صبري، ولكن حين أتذكر أنني -ربّما- سأرى عمّار أهدأ كليًا، التفكير في عمّار يجعل رغبتي في الحياة تزداد، لكن أين عمّار من كل هذا؟

ريثانا : عمّار.

عمّار : عيوني.

ريثانا : بتعمل ايه ؟

عمّار : ولا حاجة، بفكر أنزل وكالعادة مش بنزل، صحيح يا بنتي انتِ مختفية ليه ؟ مصر هتاخدك مننا ؟

ريثانا : مقضياها نوم.

عمّار : بتوحشيني.

هل قلت أن التفكير في عمّار يزيد من رغبتي في الحياة؟! حسنًا قد يكون هذا صحيحًا بعض الشيء لكن كلام عمّار بذاته بدأ يشعرني بالغثيان، شعرت بالاختناق حين قرأت رسالته الأخيرة، طريقته في التلاعب بي أغضبتني من نفسي كثيرًا، تجاهلته تمامًا ولم أجب، رغبتي في إنهاء هذه المهزلة جعلتني بكل بساطة أذهب إلى النوم.

ما حصل بعد هذا لم يكُن متوقعًا، عاد عمّار لطيفًا كما كان، أصبح يحدثني يوميًا، وقبل أن ينشغل عنّي يخبرني بهذا، كان يطمئن عليّ كلما حانت له فرصة، هل شعر عمّار بخطئه في علاقتنا أم أنّني أتوهم؟

في يوم من تلك الإجازة الكئيبة لم أكُن أشعر أنّني بخير، لم أفتح هاتفي أبدا يومها بسبب انعدام رغبتي في التفاعل مع الكائنات البشرية، لم أرغب في الحديث مع أحد، في ذلك اليوم بقيت بغرفتي ولم أتحرك منها قدر أنملة، بقيتُ هكذا لساعات دون حراك، وبعد أن نام الجميع فتحت هاتفي لأجد عمّار اتصل بي أكثر من مرتين، وجدت رسائل كثيرة مثل:

- ريهٰا .. صباح الخير يا حلوتي.

- معقولة نايمة كل دا؟

- ريهٰانا إنتِ كويسة؟

- قافلة الفون ليه؟

- ردّي على اتصالي.

- ريهٰانا طمنيني عليكِ عشان خاطري.

لم أصدق أبدًا أن عمّار قد أرسل كل هذا، لم أصدق أساسًا أنه شعر بالقلق عليّ، غمرتني السعادة فقط لأنني كنت جزءً من

تفكيره، ربما قد أعتاد على اهتمامه الكبير هذا .. وهذا شيءٌ مخيف بالنسبة لي.

في يومٍ آخر، مرّ دون أن يحدّثني عمّار فيه ولكنه لم يكن يقصد تجاهلي أيضا، شعرت بالقلق لاختفائه المفاجئ ليومٍ كامل فقررت أن أحدثه وأرى سبب هذا.

- عمّار .. فينك النهاردة؟

انتظرت قليلا لكنه لم يُجبني، فأرسلت له رسالة أخرى:

- طَب إنتَ كويّس .. طمنّي عليك لو سمحت.

وهذه المرّة أجابني من فوره قائلًا :

- أنا كويّس .. متخافيش.

ريثانا : مش حاسة إنك كويّس.

عمّار : أنا فعلًا مش كويّس .. حاسس إني مخنوق.

ريثانا : اهدى بس وكل حاجة هتبقى تمام.

عمّار : خليكِ معايا لو سمحتِ .. اسهري معايا النهاردة.

ريثانا : أنا معاك مش همشي.

بقيت مستيقظة معه تلك الليلة حتى تتحسن حالته، اتصل بي وبقينا نتحدث حتى الصباح، كانت ليلة جميلة، أتذكر

حينها أنني نمت في الساعة الثامنة تقريبًا، وحين استيقظت وجدت رسالة منه يقول فيها.

- شكرًا لأنّك بقيتي معايا .. لو كنت قعدت لوحدي زمان حالتي أسوأ دلوقتي.

استمر عمّار في لطفه لمدة أطول، لم أشعر قطّ أن حاله قد يتبدل مرة أخرى، شعرت أنه أصبح يحبّني بصدق، وأنه قد أصبح أخيرًا لي.

زاد حديثنا كثيرًا في تلك الفترة كما كنّا في البداية تمامًا، شعرت أنّ شغفي بعمّار عاد يُولد من جديد، وأنّ سعادتي قد تستقر معه أخيرًا.

في يومٍ آخر استيقظت فيه متأخرة قليلًا، وجدتُ في هاتفي رسالة من عمّار:

- صباح جميل يا حلوتي، كلميني لمّا تصحي.

ابتسمت لرسالته، وقبل أن أجيبه سمعت صوت إزعاج آتٍ من الخارج، تجاهلت هذه الأصوات المزعجة وأجبته:

- صباح الورد ليك.

في أقل من دقيقة قرأ الرسالة وأجابني:

عمّار : وحشتيني من امبارح، طمنيني عنّك.

ريثانا : وانت كمان وحشتني أوي، الحمدللّه صحيت على دوشة في البيت.

عمّار : الحمدللّه إنهم عملوا دوشة، أكتر من كدا كنت هفكر إنك اتحولتي لباندا كسلانة.

ريثانا : ايه دا! عمّار مزاجه رايق من الصبح.

عمّار : آه شفتي .. عدّي الجمايل بقا.

ريثانا : ياراجل.

عمّار : بهزر يا عنيا .. قوليلي بقا عندك مخططات النهاردة ولا لا؟

ريثانا : لا واللّه معنديش حاجة.

عمّار : حلو جدا، أنا اخترت فيلمين نسهر عليهم النهاردة واحنا بنتكلم في الفون.

بقي يخبرني ما سنفعله في هذه الليلة سويًّا، خطط لكثير من الأشياء التي تحمستُ لها، وعند حلول وقت السهرة اتصل بي، بقينا نشاهد التلفاز ونتحدث في نفس الوقت، ما حصل في الحقيقة أنّني لم أستوعب شيئًا من الفيلم المعروض لأن دقات قلبي كانت ترقص فرحًا بعمّار، شعرت أنّني قد أملك الدنيا من فرط سعادتي، وأنّ سعادتي قد تستقر معه أخيرًا.

ولكن .. لم يكن عليّ أن أنخدع بلطفه المبالغ فيه هذا، كان يجب أن أضع في الحسبان أن عمّار سيخذلني في أي وقت دون سبب محدد.

كنت أتحدث معه بشكل طبيعي، بدون أي انفعال أو غضب، كان حديثًا لطيفًا حتى.

عمّار : وعملتي ايه لما مرضيتش تمتحنك؟

ريثانا : قلتلها هروح للمديرة وأوريها عذر الغياب وهي تتصرف، زي الشاطرة طلعتلي ورقة الامتحان وحليّت وأخدت وقتي وزيادة

عمّار : جدعة والله، خليكِ على طول قوية كدا.

ريثانا : آه طبعًا، ناس مبتجيش غير بالعافية والله.

عمّار : اللي يرضيكي اعمليه المهم متزعليش.

ريثانا : انتَ صح.

هنا تأخر عمّار في ردّه، انتظرته دقيقة واثنتين وثلاثة، مرت خمس دقائق كاملة وامتدت إلى أن صارت عشرين دقيقة، فجأة حدّثني بطريقة غريبة وعصبية مفرطة.

عمّار : ريثانا أنا رايح أنام.

ريثانا : فجأة كدا ؟ حصل حاجة ؟

عمّار : مش عايز أتكلم مع حد ، ارتحتي!

ريثانا : انت متعصب كدا ليه ؟ حد مزعلك ؟؟

قلقت عليه وأرسلت له الكثير من الرسائل ولكنه لم يُجب، تجاهلني تمامًا ومن جهة أخرى كان ينشر الحالات المبهمة عن كون أحدهم هو السبب الأول والأخير في مزاجه السيّئ، ما عرفته مؤخرًا أنها كانت فتاة، وما كان عمّار يفعله معي عاد من جديد، سوء عمّار كان من نصيبي أنا.

رغم غضبي من انقلاب عمّار دون سبب، لم أنسى أن نتيجة دالين ستظهر في اليوم التالي، اتصلت بها لأزيل عنها القلق والتوتر من ظهور النتيجة، بقينا ندعوا سويًّا أن تظهر النتيجة على خير.

حتى أننا بقينا نضحك لساعات طويلة، كنا متفائلتين جدًا بالغد وأن الله سوف يسعدنا حقًا، كنت مهتمة بالموضوع كأنها نتيجتي أنا، بقيت أدعو الله أن يجبر خاطرها ويفرح قلبها.

حتى أنني لم أهتم كل هذا الاهتمام بنتيجة إحدى قريباتي رغم أنها ستظهر معها في نفس اليوم، كانت دالين بالنسبة لي أختي قبل أن تكون رفيقتي وكان يهمني أن تفرح.

ذهبنا إلى النوم بمزاج جيّد رغم تفاصيل يومي السيئة مع عمّار.

لكنني استيقظت في اليوم التالي بنفسية سيئة جدًا، لم أرغب قط في التحدث إلى أي أحد، لكنني لم أستطع أن أترك دالين وحدها في يومٍ مهم كهذا، لهذا اتصلت بها، تحدثنا لدقائق وبقيت أطمئنها.

وحين أعلنوا عن ظهور النتيجة هذا ما حدث.

اتصلت دالين وأخبرتني بنبرة حزينة قبل أن أقول أي شيء ...

- محققتش حِلمي يا ريڤانا.

شعرت بكسرتها في ذلك الوقت، وصوتها المخذول جعل عيناي تدمعان، لم أعرف كيف أواسيها، أخبرتها بعض الكلمات المواسية لها لعلها تغير أي شيء في نفسيتها، لكن خيبتها كانت أكبر.

تواصلت معها طوال اليوم ولم أكتفي منها بكلمة "أنا بخير"، كنت متأكدة أنها ليست بخير من صوتها الحزين.

لم أعرف كيف مَر هذا اليوم بكمية الحزن التي كانت فيه وكمية بُكائنا وحزننا على النتيجة، إلا أنني كنت متأكدة أن اللّه سيعوضها بطريقةٍ ما.

***

أتى اليوم التالي وأنا مستمرة في البحث عن طريقة للتخفيف عن دالين، أردت دعمها قدر استطاعتي لأنني لا أحب رؤية حزنها.

اتصلت عليها واطمأننت أنها تحسنت نوعًا ما، لكنها طلبت مني شيئًا غريبًا.

ريثانا : طمنيني عليكِ ياحبيبتي، عاملة ايه دلوقتي؟

دالين : الحمدلله، أحسن.

ريثانا، ممكن أطلب حاجة لو سمحتي؟

ريثانا : آه أكيد، اطلبي.

دالين : نزلي حالة على حسابي خليهم يدعولي ومحدش يسأل جبت كام.

ريثانا : حاضر يا عنيا.

وكانت صدمتي حين فتحت حسابها ووجدت رسائل لعمّار، رسائل لطيفة ومواسية، رسائله جبرت خاطرها وكسرت خاطري أنا.

عمّار : دالين طمنيني عملتِ ايه ؟

ولم يكتفي بهذا، لم يكتفي بعدم ردّها او تأخيرها.

وتابع : قلقتيني مفتحتيش ليه ؟؟

أجابته دالين : الحمدللّه على كل حال.

عمّار : قلقتيني اكتر، إنتِ كويسة ؟

لم تجبه لذا عاود الإرسال ..

عمّار : اول ما تفتحي طمنيني عنك.

عمّار الذي أنهى المحادثة بطريقة سيّئة وجارحة بالأمس، عمّار الذي انقلب مزاجه بدقائق قليلة ولم يحدّثني منذ ذلك الحين، هاهو يقلق على دالين ويطمئن عليها.

حاولت التغاضي عن الأمر، أخبرت نفسي أنها صديقتي وأنها تستحق هذا لكن .. لكن أنا لم أكن أستحق أن يُكسر قلبي بهذا الشكل.

أثر الموقف عليّ بشكل كبير، كان تأثيره واضحًا على ملامحي الحزينة، عمّار يهتم بأحزان الجميع لكن أين هو عمّار عن حزني.

بخيبة وحزن فتحت حسابها مرة أخرى ورأيت بقيّة المحادثة، وكان أغبى قرار اتخذته في حياتي.

اهتمام عمّار بأمرها كان يؤذيني كثيرًا، لم يكن يكتفي بالمحادثات للاطمئنان عليها، بل كان يتصل بها من حين لآخر.

وبعد كل هذا ورغم أنّني كنت سندًا لدالين في وقت شدّتها، إلا أنّها توقفت عن الإجابة على رسائلي ومكالماتي، تلك الفترة بقيت أطمئن عليها من الحالات التي تنشرها ومحادثاتها التي زادت مع عمّار تلك الفترة أيضًا كنت أراها.

لم أعرف بماذا قصرت مع كليهما، تأذيت منهما كثيرًا ولم يشعرا بشيء.

المضحك أن دالين قررت أن تحدّثني أخيرًا فقط لتخبرني بسفر عمّار إلى مدينتها، وكأنني لا أعلم.

اتصلت بي على غير عادتها وكان هذا حديثنا ...

دالين : ريثا وحشتيني.

ريثانا : طمنيني عنك.

دالين : الحمدللّه كويسة جدًا.

ريثانا : دايمًا يارب.

دالين : تعرفي إن عمّار هنا.

ريثانا : ايوة أعرف.

دالين : هكلمه اقوله إني عاوزة اشوفه.

شعرت أنها تعمدت قول هذا لتضايقني، كانت وكأنها تخبرني بما تريد، لم يكن استئذانًا.

ريثانا : شوفيه وابعتيلي الصور.

دالين : ايوة عشان ترجعي تعيطي بعدها.

ريثانا : لا واللّهِ مش هاممني.

دالين : كلام في الأول وأول ما تشوفي الصور هتعيطي.

ريثانا : واللّهِ مش فارقة، بس خليكي قدها وكلميه وابعتيلي الصور.

دالين : تمام هتشوفي.

أنهت الاتصال وغابت لدقائق ثم اتصلت بي مرة أخرى ...

دالين : كلمته، بس قالي مع صحابه ووعدني هيجي مرة تانية عشان يشوفني.

لم أندهش، اعتدت على لطف عمّار مع الجميع وليس معي أنا.

ريثانا : خسارة حرفيًا كان نفسي اشوف الصور.

دالين : المرة الجاية.

شعرت أنني أخسر كلاهما معًا في ذات الوقت، أو ربما هما من سيخسران وجودي معهما، تصرفات عمّار، أحاديث دالين التي لا تنتهي عنه لم يكن هذا لطيفًا أبدا منها، لهذا قررت تجنبهم.

مرت باقي أيامي حزينة، اشتقت لعمّار كثيرًا، لكنّني لاحظت أنه أثناء قلة أحاديثنا كان يبدو سعيدًا بعكسي أنا، حتى حالاته كانت تحمل طابع الرومانسية، كل هذه التفاصيل الصغيرة أخبرتني أنني لا شيء بالنسبة لعمّار، موقف بعد آخر إلى أن سئمت عمّار تمامًا.

***

الفصل السابع

"حبيبتة مين يابني، دي وجع راس"

بقيت علاقتي مع عمّار بين جذب وشد، شعرت أن عمّار مضطرب، أو ربما هو غير قادر على اتخاذ القرار في أمرنا، شعرت أنه لا يريد البقاء معي لكنه ليس شجاعًا كفاية ليصارحني بهذا، وكم كان هذا مرهقًا جدًا لمشاعري، أن أعلم ما يجول بخاطره وأصمت.

رغم سوء ما يدور بيننا، كنت أتحدث مع عمّار من حين لآخر، وإما أن يجيبني أو يتجاهلني، وكانت بداية النّهاية في أحد أحاديثنا التي لم تكُن جيّدة أبدًا.

ريثانا : نتيجة الامتحانات طلعت ولا لسّة ؟

عمّار : لا والله لسّة.

ريثانا : ربنا يسهل وتطلع على خير.

عمّار : يارب يا ريثا.

صمتنا قليلًا، لم أعرف ما يمكنني قوله بعد أن وصلنا إلى نقطة توقف، لكن ما حصل لاحقًا أثبت لي أنّني على صواب فيما أفكر فيه.

فجأة أرسلت له ..

- هو انت متأكد إنّك مبتكلمش حد غيري ؟

عمّار : ايه السؤال الغريب دا!! وعلى فجأة؟

ريثانا : متردش على السؤال بسؤال، جاوبني وريحني.

عمّار : انتِ عاوزة ايه من السؤال دا؟

ريثانا : عاوزة جواب.

عمّار : على فكرة إنتِ بقيتي غريبة، وزنانة.

ريثانا : دا أنا ؟!

عمّار : أيوة إنتِ، أقولك كمان؟ أسئلتك كتيرة ومقرفة يا ريثانا.

ريثانا : تمام جدًا، مكنتش أعرف إنك بتحبني أوي كدا.

عمّار : كويّس اهو عرفتي.

اكثر ما شعرت به وقتها أن هذه المحادثة كانت تشع بالكره والأذى، لا أستطيع أن أصفه بالوقح لأن فعلته هذه تعدّت الوقاحة، أكان هذا عمّار حقًا أم أنّ ما أعيشه الآن مجرّد كابوس ؟

لا لم يكُن كابوسًا أبدًا، بل هو واقع مرير قُدِّر لي أن أعيشه.

هكذا أتاني الجواب في موقف آخر بعد السابق بأيام، خلال هذه الأيام كان قد اعتذر منّي عمّار مسبقًا عن سوء تصرفه كما سمّاه، لم أرفض اعتذاره لكنّني لم أعبر عن قبولي له،

لكن لم يشكل هذا فارقًا له، كما نقول نحن المصريون "اخبطي راسك في الحيط".

اتصلت به بعدها وهكذا كانت مكالمتنا، سيئة لأبعد حدّ:

- عمّار إنت فين ؟

عمّار : مع أصحابي، مش فاضي هكلمك بعدين.

ريڤانا : بس أنا عايزة أتكلّم معاك.

عمّار : بعدين بعدين.

ولم يعطني الفرصة ليسمع ما أقول، لكنّني سمعت ما قاله، وكم كُسرت حينها حين قال أحدهم " حبيبتك دي؟ ".

فأجابه عمّار ببرود " حبيبة مين يابني، دي وجع راس ".

سقط هاتفي وسقطت دموعي وسقطتُ أنا، غرقت في ظلام مشاعري ولم أستطع النجاة، اختنقت أنفاسي حتى كدت أن أموت.

لم تكُن تلك هي النهاية، استمر هذا الأذى كثيرًا، استمر طويلًا لدرجة أنّني تبعثرت وعجزت عن لملمة ذاتي بعدها.

***

حين تحدّث عمّار معي بهدوء لأول مرة منذُ زمن، أجبته فقط لأعرف ما الذي يريده من حديثه هذا.

عمّار : ايه أخبارك ؟ طمّنيني عليكِ.

ريثانا : تمام الحمدللّه.

عمّار : كويس، بقولك ..

ريثانا : قول.

عمّار : دالين عاملة ايه ؟ بقالي فترة بحاول أكلمها ومش بترد.

ريثانا : دالين!

عمّار : آه دالين.

ريثانا : متقلقش عليها كدا، أكيد مشغولة في تقديم الجامعة وكدا.

عمّار : افتكرت إنه حصلت حاجة وحشة معاها.

ريثانا : لا متفتكرش.

عمّار : تمام، كويّس طمّنتيني عليها.

هل يُهان الإنسان بهذا القدر؟ هل يصمت فقط لأنّه يحب؟ هل هكذا يكون الحب؟ فليسقط الحب في بئر دون قاع إن كان مهينًا بهذا الشكل.

شعوري باقتراب النهاية كان يزداد مع مرور الأيام، شعور مؤذٍ للغاية، لا أرغب في أن تخلو حياتي من وجود عمّار رغم أن هذا

ما يريده وبشدة، كان ينتظر أي فرصة مهما كانت صغيرة، وكم كانت تكثُر أحزاني كلمّا فكرت في هذا الموضوع، غير الأسئلة التي كانت تخطر ببالي حينها، أهمها من منّا سينهي هذا الموضوع؟

من ناحية أخرى زادت مشاكلي مع دالين كثيرًا، وكانت أحاديثها مع عمّار هي السبب، رأيت أقرب رفيقاتي تتحول إلى متملقة ولم أستطع فعل شيء.

حاولت أن أكون مثلها لأعلمها درسًا قاسيًا، أردت أن أؤلمها في حبيبها كي تشعر بما أشعر، ويالسعادة، أتتني الفرصة دون أن أتعب نفسي.

أخبرتكم سابقًا أنني كنت على معرفةٍ بحبيبها لكن حين تعرفت عليها وأصبحنا أصدقاء قطعت علاقتي به احترامًا لها ولمشاعرها.

كانت مدينتي هي ذاتها مدينة رامي، حينها وجدت رسالة منه يخبرني فيها - ريثانا، أنا جاي المدينة، ينفع نتقابل؟

كانت هذه هي فرصتي لأكسرها، كم رغبت في انتهازها فقط لأنتقم لذاتي، يا إلهي! لا أعلم كيف وصل بي الحال لأفكر بهذه الطريقة الحقيرة، زاد حزني وغضبي على نفسي بسبب ما آلت إليه أحوالي.

لم أكُن أرغب في الانتقام، كانت غايتي أن تشعر بمدى سوء ما فعلته في حقي من باب العدل لا أكثر.

تحدث رامي معي يومها ..

- ريڤانا، اخبارك؟

ريڤانا : بخير وانتَ؟

رامي : الحمدلله بخير، يارب دايمًا.

ريڤانا : تسلم وليك يارب.

رامي : عاوز اشوفك، ينفع؟

ريڤانا : اه ينفع بس مش النهاردة عشان عندي دورة تدريب.

رامي : معندكيش امتى؟

ريڤانا : عندي كل يوم بس في كورسات بحضرها وكورسات لا، هشوف واقولك تمام ؟

رامي : تمام بس الاسبوع دا تمام؟

ريڤانا : تمام.

أردت أن أذهب لدالين وأخبرها أن رامي طلب مقابلتي، رغبت في معرفة ردة فعلها كيف ستكون، كنت مترددة في إخبارها، وفي النهاية قررت أننا إذا تقابلنا سأرسل لها الصور وأفاجئها.

***

مرت الأيام الأخيرة بدون دالين وبدون عمّار، كان كلامي مع الاثنين قليل جدًا، عمّار يحدثني كلما راق له مزاجه، يا إلهي، ليتني لم آتي إلى مصر، شعرت أنني خسرت كل من أعرفهم منذ أن عدتُ إليها.

حدّثني رامي مجدّدا وكرّر طلبه، عجزت عن الرفض هذه المرة واتفقنا على موعد مناسب، رغم أنني هكذا لن أحضر بعض الكورسات المهمة.

كان اتفاقنا أن نتقابل بعد يومين، وحين أتى ذلك اليوم الموعود بقيت أفكر طيلة النهار، هل أستطيع فعل هذا بدالين؟

كان عقلي يجيب عن سؤالي ويذكرني بما فعلته بي، كان يبرّر قسوتي عليها الآن، لكن حيرتي هذه جغلتني أتراجع، لا أستطيع أن أذيقها مرارة ما شعرت به، لا أستطيع أن أتحمل كسرها و أذيتها، مع الأسف، كنت لا أزال أخشى خسارتها.

اعتذرت من رامي حينها وتحججت بالدورة التي أحضرها.

- رامي أنا آسفة بس عندي كورسات مهمة جدًا النهاردة، أهم من كل اللي فات.

رامي : ولا يهمك.

ريڤانا : متزعلش وتتعوض بأذن الله.

رامي : ولا يهمك يا ريڤا ركزي انتِ بس ربنا يوفقك يارب.

ريڤانا : تسلم يارب.

وهكذا انتهى حورانا، وبالفعل ذهبت إلى الدورة وتجاهلت كل شيء آخر.

بعد فترة طويلة وعلى غير عادة، اتصلت بي دالين رغم أنها كانت تتجاهلني بشكل تام منذ إعلان نتيجتها حتى اليوم، فأجبتها وليتني لم أفعل.

دالين : ريڤانا ازيك ؟

ريڤانا : بخير الحمدلله وانتِ ؟

دالين : بخير يا اخت ريڤانا.

حدثتني بنبرة ملؤها الغضب، فسألتها عن السبب.

ريڤانا : مالك، حد مضايقك؟

دالين : انتِ بتسألي واللهِ ؟

ريثانا : سؤالي ضايقك ؟ متحكيش لو مش عاوزة.

دالين : لا انتِ عارفة مالي يا ريثانا.

ريثانا : ممكن تهدي وتفهميني ؟

دالين : متستهبليش، انتِ عارفة كويس.

ريثانا : هتقولي ولا لا ؟

دالين : عاملة نفسك مش عارفه يعني ؟

ريثانا : لآخر مرة هتقولي ؟

دالين : رامي قالي على كل حاجة يا ريثانا فهمتي ولا هتحوري كمان ؟

ريثانا : ممكن افهم الـ كل حاجة بتاعته ؟

دالين : قالي انكم كنتو هتتقابلو وكمان اتفقتوا على اليوم والمكان.

ريثانا : كملي.

دالين : خلصت.

ريثانا : دا اللي قاله بس ؟

دالين : آه دا بس.

ريثانا : ومكملش ليه ؟

دالين : المفروض يقول ايه تاني ! مش كفاية انك عندك نية تقابليه ؟

ريثانا : انا اتفقت معاه، وكنسلت في نفس اليوم بس عشان متزعليش ومخسركيش، ورامي قالك الجزء اللي هو عاوز يقوله تمام، ورامي هو اللي بعتلي وقالي نتقابل انا وافقت في الاول عشان معرفتش اقول ايه، ويومها اتحججت بالكورس اللي عندي مع إني يومها محضرتوش أصلا، انا خفت على شعورك وزعلك وانتِ كالعادة بتظلميني أنا وصدقتي حبيبك، تحبي تسمعي كمان ؟

دالين : وهو هيعمل كده ليه يعني ؟

ريثانا : عشان محصلش اللي هو عاوزه يا دالين، فهمتي ؟

لم تجب دالين، صمتت وحسب.

ريثانا : عارفة إنك مش لاقية حاجة تقوليها، ابقي فكري في الكلام اللي هتقوليه قبل ما تقوليه، مش انا اللي اعمل كده.

وأغلقت المكالمة لأنني بالفعل اكتفيت من هرائها، وبعد دقيقتين أرسلت:

- عارفة إنك زعلتي حقك عليا.

لم أجد ردًا، وبصراحة لم أتعب نفسي حتى للتفكير في رد، أما هي فاستمرت بالإرسال ..

- يعني هو ايه مصلحته إنه يقول كده؟

ريڤانا : حاولي متحطيش العيب عليه يا دالين، انا مش شايفاه غلطان على فكرة، واحد كان في دماغه حاجة ومحصلتش فطبيعي هيقولك كدة عشان يبقى كبير في عينك وصاحبتك هيا اللي وحشة، المشكلة بقا مش هنا.

عارفة المشكلة فين ؟ انك صدقتيه وطلعتيني انا الوحشة، ظلمتيني وانا معملتش حاجه يا دالين، ضايقني جدًا ظنك بيا وانا الهبلة اللي بفكر فيكي قبل ما اعمل الحاجة.

دالين : انا اسفة بس هو مكدبش عليا قبل كده عشان كده صدقت.

ريڤانا : وانا مشوفتيش مني حاجه وحشة قبل كده عشان تصدقي، انا من يوم ما عرفتك وانا قطعت معاه عشانك ! رغم انك لو مكاني مش هتعمليها وانتِ مكاني فعلًا ومعملتيهاش وبتكلميه عادي جدًا ولا عاملة اي حساب لإني هتضايق ولا لا ! فكرت اقولك متكلميهوش ؟ لا بس انك تحسي اني بضايق مثلا من الموضوع دا ! كأني مبحسش ! بتكلميه اتصالات وعادي بالنسبالك بس لو انا كنتِ

حرقتيني، وقولتيله يكلمك على الوتساب عشان مشوفش الشات بتاعكم فاكرة؟ عملتِ حاجات كتير جدًا وكنت بسكت خوف مني اني اخسرك بس مكنتيش تستاهلي.

أغلقت الهاتف تمامًا، أغلقته لمدة يومين، تعبت نفسيتي كثيرًا منها ومن تصرفاتها.

شعور بشع جدًا أن تفعل شيئًا لأجل أحدهم ثم يأتي هو بكل وقاحة يتهمك ويظلمك، يومين من التفكير الطويل والألم المستمر .. وهاهي النهاية تقترب.

بعد هاذين اليومين فتحت هاتفي لأجد رسالة من السيد عمّار، رسالة واحدة كاذبة ومؤلمة "وحشتيني يا ريفا".

كنت متأكدة تمامًا أنها أخبرته بما حصل بيننا، ربما كانت رسالته محاولة - فاشلة- لتلطيف الجو بيننا، وأنا لم أجب، شعرت أن اشمئزازي من أفعاله يزداد يومًا بعد يوم، تجاهلته لأتجنب أذيته لي.

أمّا دالين، حاولت الاتصال والاعتذار لأكثر من مرة، وأنا لم أتأثر أبدًا، في المرة الأخيرة أجبت اتصالها، أردتها أن تخبرني أنها بالفعل لم تقصد أذيتي، أردتها أن تعود صديقتي لا مصدر أذيتي، لكنّها زادت وضعي سوءًا.

دالين : ريفا وحشتيني جدًا، طمنيني عنك.

ريثانا : بخير الحمد للّه.

دالين : يارب دايمًا، حقك عليا انا غلطت.

ريثانا : ولا يهمك.

دالين : متختفيش تاني عشان وحشتينا.

ريثانا : مظنش.

دالين : واللّه وحشتيني والايام وحشة من غيرك.

ريثانا : تسلمي، طمنيني عنك.

دالين : الحمدللّه بقيت كويسة لما كلمتك.

هل يحق لي أن أفرح ؟ لا، لأنها أكملت بوقاحة.

دالين : سألت عمّار عنك بس قالي هيا ريثانا كده كل ما تزعل بتقفل يومين وبعدين بترجع زي الاول متشيليش همّها.

لا أظن أنّني كنت سأخبرها هذا الكلام وأؤذيها، أين رغبتها في إرضاء قلبي المكسور ؟ بفعلتها هذه جعلتني أندم أنّني أجبتها من الأساس، أنا أختنق من وجودهم في حياتي.

كل هذا الوقت كنت صامتة، مجرّد مستمعة لكلام دالين الساذج.

دالين : مش شباب اللي هيخسرونا بعض احنا اخوات واللي بينا اكبر من اننا نخسر بعض بسبب حد، احنا لازم نطلعهم هما الاتنين من حياتنا.

وظلّت تلمح لي بوجوب بُعدي عن عمّار، أخبرتني أن وجودي معه لا يشكل فارقًا معه، أخبرتني أن هذه رغبته لكنه ليس شجاعًا كفاية ليتخذ خطوةً كهذه، ظلّ حديثها الذي يشبه السموم يترسخ في عقلي وقلبي معًا، صدّقتها لأنني على علمٍ بأحاديثها المستمرة مع عمّار، لم أستبعد أبدًا أن يصارحها بأمرٍ كهذا، تساءلت قليلًا أين حديثها السابق عن حبّ عمّار لي؟، لكن تبخر سؤالي مع تصرفات عمّار التي أثبتت حديث دالين، نجحت دالين في إقناعي بالبعد عن عمّار وللأبد.

دالين : فكري فيها وانا هساعدك، اقولك هقوله انا على اساس انك مش عاوزه تزعليه ! وطلبتي مني اقوله انا.

من إصرارها، زاد يقيني أنني سأجد راحتي حالما أبتعد عنه، وأن كل هذا الألم الذي أعيشه مع عمّار هو السبب فيه، وأن الألم سيزول بزوال المسبّب، بزوال عمّار.

***

الفصل الثامن

"على أساس إنّه جنبك دلوقتي؟

وجودك مش فارق لعمّار حاجة"

طيلة أسبوع كامل، كانت دالين تحدّثني باستمرار، تحاول جاهدة إعادة المياه لمجاريها، كانت تطمئن عليّ يوميًا، كلما استيقظت وجدت رسالة منها.

- صباح الخير يا حلوة.

ريثانا : صباح الورد يا عنيا.

دالين : عاملة ايه النهاردة؟، طمنيني عليكِ.

ريثانا : تمام الحمدلله، انتِ عاملة ايه؟

دالين : أنا كويسة، بقولك ايه رأيك نتقابل النهاردة لو مش وراكِ حاجة ؟

ريثانا : أنا فعلا مش ورايا حاجة، هظبط وضعي وأقولك.

دالين : تمام، هستناكِ.

هكذا كنا نتحدث، عدنا إلى سابق عهدنا، كنا نسهر على الأفلام سويًا، نتحدث بالساعات دون ملل، لن أنكر أنني رغبت بعودتنا أصدقاء كما كنا، لن أنكر أيضا أن محاولاتها تلك أتت بنتيجة سلبية عليّ أنا.

لم أتجاهل المرات التي كان عمّار هو محور أحاديثنا فيها، في كل مرة نتحدث فيها تسألني عن حالي مع عمّار، وعندما أقول

"لا جديد" ؛ تنفجر قنبلة محتواها " يجب أن تبتعدي عن عمّار"، كان أسبوعا من الضغط المتواصل عليّ فقط لأترك عمّار.

مللت أحاديثها تلك، كلّما تحدثت عن عمّار كلما زاد اقتناعي بالابتعاد عنه، سيطرت عليّ الرغبة التي زرعتها بداخلي.

- ريهانا، إنتِ إزاي صابرة على عمّار كل دا ؟ عمّار مش مناسب ليكِ، انتو لازم تسيبوا بعض.

- عمّار ميستاهلش كل الحب اللي جواكِ، ابعدي عنه وأكيد هيجي اللي يستاهلك.

- شايفة كل الوجع اللي انتِ حاسة بيه؟، عمّار هو سببه الوحيد، لو طلعتيه من حياتك هترتاحي.

أجبتها : بس أنا بحبه، أنا عارفة إنّي مش هرتاح وأنا بعيدة عنه

ردّت عليّ بصراحة مؤلمة : على أساس إنّه جنبك دلوقتي؟ وجودك مش فارق لعمّار حاجة.

- أوّل ما تبعدي عنه هتحسي بالارتياح صدقيني، عمّار وجوده متعب أكتر من بُعده.

هذا ما كانت تخبرني به وترددده على مسمعي يوميًّا، حتى أتى اليوم الذي كان أشبه بواقع مؤلم فُرض عليّ أن أعيش مرارته، هي حتى لم تعطني فرصة للتفكير.

كنت أتحدث مع دالين وأصد محاولاتها المستميتة في إبعادي عن عمّار.

دالين : أنا متأكدة إنك قدها، حتى لو اتوجعتي في الأول هترتاحي بعدين.

ريڤانا : بس أنا مش عاوزة، إنتِ أكتر وحدة عارفة عمّار ايه بالنسبالي.

دالين : عشان أنا عارفة هو ايه بالنسبالك بقولك سيبيه.

ريڤانا : دالين أنا خايفة، خايفة متعودش على غيابه بعد كدا، خايفة أخسره وميبقاش في فرصة أرجعه تاني.

دالين : أنا جنبك واللّه، هفضل أسندك لحد ما ترجعي أقوى من الأول بكتير، بعدين إنتِ كدا كدا خسرتي عمّار، باقي إنك تنهي الموضوع.

ريڤانا : لا أنا مش هقدر.

دالين: هتقدري يا ريثانا، متخليش عمّار سبب ضعفك وحزنك باقي حياتك، عمّار مكنش حاجة كبيرة في حياتك وإنتِ كمان مش مهمة بالنسباله.

وأكملت دون قصد: دا غير إنه عمّار قالّي إنه عايز ينهي اللي بينكم بس مش عايز تيجي منه.

يا إلهي، أشعر أن حديثها كالسكاكين في قلبي، مع كل كلمة تقولها ينكسر قلبي.

أكملت حديثها حين عمّ الصمت ...

- أنا هعتبر سكوتك دا اقتناع، وهقوله إنك عايزة تقطعي علاقتك بيه.

وقبل أن أجيبها أنهت الاتصال لتنفذ ما قالته لي.

اتصلتُ بها بعد عدّة دقائق لتجيبني قائلة" لسّة مردّش يا بنتي، إنتِ مستعجلة على ايه؟ ".

أوجعتني السخرية التي لمستها في نبرتها، شعرت بأنّني أختنق مما يحصل، أردت منعها والتراجع عن هذه الخطوة لكنّها أجابتني بلامبالاة" أنا خلاص بعتله والمسألة مسألة وقت" وأنهت الاتصال دون أن تسمع أي رد مني.

مرّت نصف ساعة، بقيت أدعو كثيرًا ألا يوافق عمّار على ما تقوله، أردته أن يرفض بشدّة، لكن ما حدث كان العكس.

وجدت هاتفي يصدر إزعاجًا بسبب الرسائل التي أرسلتها دالين.

دالين : ريڤانا، ردي بسرعة.

أجبتها : نعم.

دالين : قلتله يا ريڤا، وهو قرأ الرسايل خلاص.

ريڤانا : رد عليكِ ؟

دالين : أيوة رد، هو وافق وقال ماشي.

ريڤانا : بالسهولة والسرعة دي؟!

كدت أبكي، بل أنني بكيت بالفعل ...

دالين : هو في الأول انصدم، قالي "ريڤانا قالت كدا؟ إنتِ متأكدة؟"، لما قلتله أيوة قالي "خلاص لو دا اللي هيريحها هعمله، أنا ميهمنيش غير راحتها وبس".

بكيت وبكيت وبكيت، أوجعتني ردة فعله كثيرًا، لم أستوعب أنني بهذا الرخص بالنسبة لعمّار، لم يعارض ولم يجادل، هو فقط وافق وكأنه كان ينتظر خطوة كهذه، نعم هو كان ينتظرها بالفعل.

كانت صدمة أن ما بيننا قد انتهى دون رجوع، لا يوجد فرصة أخرى، هو لم يخبرها أنه يرغب بي، هو لم يحبني يومًا.

أنهيت حديثي مع دالين، لم أرغب في نقاش أي شيء، أنا حتمًا سأنفجر في وجهها إن قالت كلمة أخرى.

لكن، وصلتني رسالة من عمّار، نبض قلبي بقوة، ربما سيتراجع، ربما سيسألني، ربما وربما.

- لو كدا إنتِ هترتاحي اعملي اللي يريحك وأنا مش هعترض.

زاد بكائي واختناقي، ألهذه الدرجة لم أكن مهمة له، استغنى عنّي بهذه السهولة، لم يكتفي عمّار بهذا، بل لعب دور الضحية في القصة، تلك الضحية التي تحملت وصبرت ثم في النهاية تُركَت، تلك الضحية كانت أنا وليس هو.

أكمل رسالته " إنتِ مش قد وعودك، إنتِ قلتي إنك مش هتمشي ولا هتبعدي ".

***

إنها النهاية، نهايتنا نحن، تحمّلت كذب عمّار وتجاهله لفترات طويلة، تحمّلت مزاجه المتعكر وتصرفاته الموجعة بحقّي، تحمّلت لطفه المزيف، تحمّلت السوء الذي أراني إياه، ثم يأتي في النهاية ليخبرني أنني لم أفي بوعودي له!

وقبل أن أفكر برد على رسائله الكاذبة، اتصلت دالين فأجبتها:

دالين : ريڤانا ؟

ريڤانا : دالين لو سمحتي أنا مخنوقة ومش حابة أتكلم مع حد

وقبل أن أنهي الاتصال قالت ببرود : مخنوقة ليه؟ إنتِ اللي اخترتي تبعدي.

لم أتحمّل، زاد بكائي كثيرًا، لم أستطع التقاط أنفاسي، كنت بالفعل أختنق، اغلقت الهاتف وأكملت بكائي المرير هذا، كنتُ وحدي، ودون أن أشعر سقطتُ في النوم وأنا أبكي.

استيقظت من النوم تقريبًا في وقت المغرب، تفاجأت من الوقت، قضيتُ أربعةً وعشرين ساعة في النوم فقط!

اجتاحتني رغبة بالبكاء، لا أريد أن أستيقظ، أنا الآن أضعف ما يكون ولا أقوى على مواجهة الحياة.

أرغب في إكمال نومي، أو الاستمرار في البكاء حتى أسقط في النوم كما حصل البارحة، عمّار غير موجود الآن لماذا سأستيقظ؟

كلما تذكرت سهولة تفريط عمّار في علاقتنا وكيف أنه لم يفكر ولو لدقيقة أن يعترض، زاد قهري وبكائي.

اختفت لهفتي نحو هاتفي، لم أعُد أرغب في تفقد رسائلي، فقط لأنني على يقين تامّ أنّ من أنتظره لن يرسل لي شيئًا.

سابقًا كنتُ أستيقظ خلال نومي فقط لأتأكد أن عمّار لم يرسل لي شيئًا، كان أول ما أمسكه عندما أستيقظ هو هاتفي، كل هذا كان في الماضي.

والآن؟ لا شيء، لا شيء سوى رسالة سخيفة من دالين محتواها "ريڤا وحشتيني طمنيني عنك أحسن النهاردة؟".

لا أعلم ما الذي يمكنني قوله، هل يصبح المرء بخير بهذه السرعة؟ هل هي فعلًا لا تعلم كيف حالتي الآن أم أنّها جاءت لتعكر نفسيتي أكثر؟

- "بخير".

اختصرت الكثير من الوجع والأحاديث، أعلم أنّني مهما اشتكيت لن أجد ردة فعلٍ مفيدة.

حقًّا إنّ وضعي صعب جدّا، كم أشعر بالندم، أنا أشتاق لعمّار من الآن.

أجابتني دالين " لا مش مطمنة ! هتصل عليكي اطمن من صوتك، انا دايمًا بعرف لو كنتِ كويسة ولا لأ من صوتك".

هذا ما قالته، لكن المكالمة لم تكُن هكذا أبدًا، كانت مكالمة بعنوان "مغامرات دالين"، قصّت عليّ مغامراتها أثناء تقديم ورق الجامعة، سهراتها مع رامي، النزهات التي خططت لها من أيام الامتحانات، كنت أستمع لها وأبكي من تعبي، وهي؟ هي غير مهتمة بكل هذا.

وحين أتت باسم عمّار وأنّه بخير، شعرتُ أنها تستفزني، وكأنها تؤكد لي أن وجودي وعدمي لا يشكلان فرقاً بالنسبة له.

أنا أعلم هذا، لم أكُن أحتاج أن تثبت لي هذا.

انتهى الاتصال اخيرًا بعد الكثير من ثرثرة دالين والكثير من بكائي، وكلانا -رغم اتصالنا- لم يبالي بحال الآخر لا أعلم أيّ صداقة هذه، هذا مضيعة للوقت وليست صداقة.

مضيت بقيّة اليوم في حالتين مختلفتين، إما النوم وإما البكاء، كان مظهري بشعًا، السواد احتل أسفل عيناي، صوتي صار مبحوحًا من كثرة بكائي، يحدثونني في المنزل ولا أجيب، نمتُ كثيرًا لدرجة أنّ النهار قد مرّ دون أن أشعر بطول فترة نومي.

وكما حدث البارحة اتصلت بي دالين فور أن فتحت هاتفي، لم يكُن لديّ خيارٌ سوى أن أجيبها، ظلّت تثرثر بلا هدف، حصل هذا وفعلت ذاك، أكلت هذا ونمتُ في تلك الساعة، حاولت

إخراجي من مزاجي السيئ لكنني لم أتفاعل معها أبدا، فاجأتني بقولها:

"ايه رأيك نتقابل؟ وحشتيني جدًا وعايزة أشوفك".

وافقت على مضض، اتفقنا بالفعل أن تزورني في اليوم التالي، أنهينا الاتصال وكان أول شيءٍ أفعله بعد تلك المكالمة هو تفقد صفحة عمّار.

من تنكسر قلوبهم يكون لديهم خيار تجميع قطعه المكسورة وإلصاقها بأي شكل، أما أنا شعرت بقلبي يتفتت، لا يوجد بداخلي ما يمكن إصلاحه.

رأيت صوره وبكيت، قرأت منشوراته وبكيت أكثر، تذكرت كل ما حصل منذ البداية وزاد بكائي، وضعت رأسي على الوسادة وأغمضت عيناي بإرهاق كبير، كان نفسًا عميقًا سحبته إلى داخلي وأخرجته ببطء شديد، وبعدها غبت في نومي العميق.

استيقظت اليوم التالي في الظهيرة بمعجزة كبيرة، تأففت بشدة حين تذكرت أن دالين ستزورني اليوم، أمسكت هاتفي لأجد عشرين اتصالًا من دالين والكثير من الرسائل التي لا يمكن عدّها.

فتحت المحادثة الخاصة بها لأجيبها لكن الهاتف رنّ في يدي ولم يكن المتصل سوى دالين، وقبل أن أقول "مرحبًا" انفجرت في الصراخ قائلة "الحقيني يا ريڤانا، عرفت انه رامي بيكلم بنات غيري".

تنهدت بملل قبل أن أجيبها:

"مش جديد عليه والله، أنا حذرتك قبل كدا بس انتِ مسمعتيش مني".

أجابتني بوقاحة:

دالين : بقولك ايه، بلاش الاسطوانة دي قوليلي اعمل ايه!

ريڤانا : هتعملي ايه يعني، هتقوليله وهو هيتحجج وينكر، دا الطبيعي.

دالين : لا أنا عايزة أحسسه بالذنب ويعتذرلي مليش دعوة.

ريڤانا : دالين انتِ مش صغيرة، انتِ عارفة انه دا طبع رامي من زمان.

دالين : اوف يا ريڤانا، مش عارفة تفيدني خالص من يوم ما سبتي عمّار.

ريڤانا : دالين ياريت متدخليش عمّار في كل حاجة بتحصل.

دالين : ماشي براحتك، انا هقفل مع السلامة.

وبالفعل انتهت هذه المكالمة العقيمة لكنها قد أخذت جزءاً من فتاتي المتبقي، الجيّد أنها لم تزرني يومها، لا أعلم إلى متى سأظل أتحمل حديثها الجارح هذا، أنا لا أضمن لها مقدار صبري ولا وقت انفجاري أيضًا.

مر يومين آخرين، بلا دالين وكان هذا جيّدا، بلا عمّار وكان هذا الأسوأ، بكيت قليلًا كما اعتدت في الفترة الأخيرة، ونمت كثيرًا جدًّا، كان النوم هو المُسكّن الوحيد لآلامي، كان النوم بمثابة رحمة لعيناي وأحبالي الصوتية.

في الأيام التالية التي اقتحمتها دالين اعتذرت مني لأنها انشغلت -عنّي- في اليومين السابقين وظلت تتحدث معي قليلًا حتى ملّت.

أتى يوم آخر، تجاهلت اتصالاتها لأنني لم أشعر بالرغبة في الحديث مع أحد، لكن اليوم الذي يليه كان يوم دالين سعيد جدًا على عكسي تماما، اتفقت دالين مع رامي على موعدٍ ليتقابلا فيه منذ أيام، أخبرتني بين ثرثرتها التي لم تنتهي عن هذا الاتفاق.

كعادتي أستيقظ آخر الليل بعد نوم طويل جدًا ومتعب جدًا، لكنّه أهون كثيرًا من إرهاق الاستيقاظ والبكاء على عمّار دون فائدة، وأيضًا لا ننسى أحاديث دالين اللطيفة.

على ذكر دالين وجدت رسائل كثيرة لها حين فتحت الهاتف:

- اخيييييراً شفته تاني.

- كان يوم حلو جداً شفته الصبح ولسه مروحين.

- كنت فرحانة جداً بجد.

- طبيعي حضرتك نايمة كالعادة حداد على الاستاذ عمّار ومش هقدر احكيلك اللي حصل، نامي يا ريڤانا نامي.

بعدها بساعتين تقريبًا أرسلت ..

- مفيش امل تصحي يعني ؟

- طيب فكك من رامي وحشتيني واللّهِ.

استيقظت الساعة الثالثة فجرًا، شكرت الله كثيرًا أنه قد مرّ وقت طويل على رسائلها وبهذا لست مضطرة للرد عليها الآن.

كنتُ أخطط لإكمال نومي لكنها اتصلت بي! يا إلهي ماذا تفعل في هذا الوقت؟

قصّت عليّ تفاصيل مقابلتهما وكيف أن رامي استطاع أن يرضيها عن شجارهما الفائت لكن هذا لم يهمني كثيرًا، نفسيتي لم تكُن متقبلة لأي حديث مع أي أحد، خاصةً دالين.

انحصر تفكيري في شيءٍ واحد، هل ستأتي بسيرة عمّار مثل كلّ مرّة أم أن رامي استطاع إشغالها عن عمّار؟، هل ستلومني على حزني كالسابق وأن حديثي بات قليلًا وباهتًا؟

في هذا الوقت تحديدًا أردت رؤية عمّار أكثر من أي وقتٍ مضى، كم أحسد دالين الآن! هاهي تحب شخصًا يحبها بالفعل، وتقابله متى أرادت، زاد حزني للضعف كلما تذكرت أنه من المفترض أنني سأقابل عمّار في الغد حسب اتفاقنا قبل عودتي إلى مصر.

عدت لوعيي على صوت دالين حين قالت فجأة ...

- إنتِ هتفضلي زعلانه كده كتير ؟ انا قرفت.

- تابعت -

- هو مش انتِ اللي اخترتي كده ! مش انتِ اللي كنتِ تعبانة من وجوده ؟ ولا الانفصام اشتغل ؟

لم تكُن كلماتها بسيطة أبدًا، لم يكُن من السهل تقبلها من صديقة، لم يسبق لي أن عاتبتها على حزنها، كنت أحاول إسعادها بكل ما أملك وإن لم أنجح كنت أحزن معها.

أجبتها بنبرة حزينة:

- انا لو كنت مكانك كنت هستحملك مش هضايق من خنقتك يا دالين ! وافتكري ان انتِ اللي كبرتيها في دماغي انا عمري ما فكرت اسيب عمّار ثانية رغم تصرفاته.

أنهيت المكالمة فورًا وبدأت أبكي، أساسًا متى انتهى بكائي لأبدأه مجددًا؟ بقيت أفكر في عمّار وهل يمكن أن يعود؟

انتهت تلك الليلة بشكل حزين جدًا حيث كنت أتأمل صور عمّار وأشكي لها ما يحصل معي في غيابه.

لم أستطع النوم بعد ما قالته دالين، شعرت أن كلامها كان ثقيلًا جدًا على قلبي، لم استطع أن أتخطاه أبدًا وبقيت أفكر فيه بقية تلك الليلة، لو كانت دالين مكاني كانت ستتألم، لستُ أنا من أعطي حزني أكبر من حجمه، بل هي من تستهين به.

تعلمت حينها أن لا أحد سيشعر بحزنك كما تفعل أنت، تعلمت أن نفسي لنفسي ولا أحد لأحد، لن يرى أحد حزنك بذات الأهمية حتى يجربه، ودالين لم تحبني بالقدر الذي يجعلها تتحمل حزني معي.

***

مرّت أيامي عادية دون شيءٍ يذكر، كنت أفتح صور عمّار وأتحدث معها، أدخل لأقرأ محادثتنا من بدايتها اللطيفة،

أكتب له "اشتقت لك" لكن لا أرسلها، زادت نفسيتي سوءًا حين كنت أنتظر رسالة منه وأنا على علمٍ تام أنها لن تأتي.

أنا أعلم أن اشتياقي لعمّار غير متبادل كحبي له، أعلم أيضًا أن لديه من يشغله عنّي ويأخذ مكاني في حياته، لكن الفراغ الذي خلقه غيابه أرغمني على الاشتياق له، دائمًا أجد نفسي في النهاية أحتاج لوجوده أكثر من أي شيء.

عمّار الذي اعتدت وجوده غير موجود الآن، أتى اليوم الذي اتفقنا على أن نتقابل فيه، لكن أنا وعمّار لسنا معا، تذكرت حين خططنا لما سنفعله في هذا اليوم وبكيت، تمنيت لو أنّ ما سيحصل معي مجرد كابوس بشع وسينتهي، لكنه كان واقعًا.

بعد عدة ساعات مرّت، وبدون أي مقدمات أرسلت لي دالين:

- ريهانا، لازم نتكلم ضروري هتصل عليكي ودلوقتي.

لم أكن أرغب في الحديث إليها بعد أن كسرت خاطري أمس، لكن طريقتها في الحديث أقلقتني.

وفورا رنّ الهاتف، ترددت في الإجابة، لا أصدق أنني اصبحت خائفة من التحدث إلى صديقتي، خفت أن تخبرني أنني أبالغ في حزني وتذكرني بأن همي أصبح ثقيلا جدا عليها، لكن أجبتها حين خطر على بالي أن تكون بحاجة إلى شيء ما.

دالين : وحشتيني يا ريثانا.

ريثانا : جايه تعاتبيني على حزني النهاردة كمان ؟

دالين : انا مقصدتش حاجة امبارح انتِ اللي زعلتي !

ريثانا : كان المفروض مني مزعلش كمان ؟ ليه مبحسش ؟

دالين : مقولتش حاجة تزعل اوي كده.

ريثانا : ايوا فعلًا انا اللي مزوداها زي زعلي على عمّار بالزبط صح ؟

دالين : هو مش انتِ اللي اخترتي كده.

ريثانا : ومين اللي اقنعني بكده ؟

دالين : كنتِ مرتاحة يعني باللي بيعمله معاكِ ؟

ريثانا : على اساس اني ارتحت لما مشي.

- بدأت أبكي لكنها قالت بلامبالاة -

دالين : عيطي دا اللي بتعرفي تعمليه.

ريثانا : تمام تصبحي على خير.

دالين : متقفليش.

- أكملت بعد ثوانٍ -

دالين : انا مستغربة جدًا انك مشيلاني انا الذنب! هو انا ضربتك على ايدك وقولتلك ابعدي، مش كان برضاكي؟ انتِ ياما وجعتيني ومكنتش بتكلم يا ريثانا.

لم أتحدث وتركتها تقول ما ترغب بقوله، وبعد جملتها الأخيرة أنهيت الاتصال دون مقدمات، وقبل أن أغلق الهاتف وصلتني منها رسالة.

- انا وقفت جنبك عشان تنسي عمّار وهو مكانش بيحبك وقالي انه ولا حبك ولا عمره كان بيحبك، كان لازم أبعدك عنه عشان خايفة عليكي، بس ايه خيرًا تعمل شرًا تلقى.

قرأت رسائلها بذهول كبير، بألم أكبر، خذلان يليه آخر وانكسار يليه الكثير من الانكسارات، غيّرت دالين كل حديثها عن عمّار، ألم تخبرني أن عمّار يحبني أنا فقط وأنّني الوحيدة في حياته.

كنت أفكر في كلامها طوال الليل، أدركت أن دالين لا تكذب الآن، تصرفات عمّار معي في الأشهر الأخيرة تثبت ما تقول، بكيت كثيرًا، بكيت بحرقة على ما يحصل معي، كم كسرني كلامها، كم أصابني بالحسرة كلما قرأته،

كانت تعلم أن عمّار لم يحبني لكنها لم تنبهني ولا لمرة واحدة، وحين كنت أخبرها بهذا كانت تنفيه تمامًا، وأنا هنا من أتألّم.

لا أعرف كيف مرت تلك الليلة، لكنها كانت ثقيلة جدا جدا عليّ، كلما حاولت أن أكذب ما قالت تأتي تصرفات عمّار في ذهني لتدعم كلامها، تذكرت تغيره بعد أن اعترفت له بشأن عمري الحقيقي، تذكرت أيضا معرفتي بوجود أخرى في حياته يوم ميلاده، تذكرت كل شيء سيّئ مرّ عليّ، كل تلك الانكسارات التي تجاوزتها لأصل لعمّار لم تفدني بشيء، لأن عمّار لم يكُن ينتظرني من الأساس.

- أنا وقفت جنبك عشان تنسي عمّار وهو مكنش بيحبك وقالي إنه ولا حبك ولا عمره كان بيحبك.

لم تخرُج رسالتها تلك من ذاكرتي، ظلّت حروف الرسالة منقوشة بذهني، باتت عالقة بعُنقي تخنقني.

لَحظات ثمّ أمسكت هاتفي وفتحت تطبيق الوتساب، ترددت قليلًا قبل أن أفتح محادثة عمّار، ارتجفت يداي وأنا أكتُب:

- أنا كُنت مستنية بس حاجة تثبت لي إني مش غلطانة وتأكد لي إنك مكنتش بتحبني، حاجة تخليني مش ندمانة إني طلعتك من حياتي.

أرسلت له صورة فيها ما قالته دالين، وأغلقت الهاتف بالكامل، وقضيت باقي ليلتي أبكي.

في اليوم التالي .. صدمني رد عمّار جدا، لم ينكر ما قالته دالين، كم زاد وجعي أضعافًا حينها ...

- ريهانا أنا موعدتكيش بحاجة ولا حتى ارتبطنا عشان تعملي كدا، أنا كنت جنبك وكان في دماغي إننا صحاب عادي، بعدت لما حسيت إنك بتفكري في حاجة تانية عشان مظلمكيش.

قرأت رسالته ولاحت على شفتاي ابتسامة ساخرة، أرسلت له صورة ثم ببساطة قمت بحظره، بالفعل لقد سئمت مما يحصل.

أرسلت له صورًا أخرى يخبرني فيها بوعود كاذبة:

- لما تيجي مصر هتعرف على أهلك.

- حابب إننا نكون صُحاب الفترة دي ولو حصل حاجة بينا يبقى حلو جدا.

ثم حظرته نهائيًا دون أن أنتظر ردّه ...

***

الخاتمة

ما بعد النهاية ..

يوم يليه آخر وحالتي النفسية تزداد سوءًا، ابتعدت تمامًا عن دالين وهي لم تحاول أن تحادثني مطلقًا، وعمّار الذي كان أغلى شخص في حياتي اختفى تمامًا من جانبي، كان من الصعب جدًا نسيان المأساة التي عشتها، حاولت كثيرًا لكن في كل مرة كنت أفشل، كلما تذكرت أني قضيت معه ستة أشهر في كذبة زاد حزني على حالي.

قرّرت أن أقطع هذه الإجازة المشؤومة، لا أرغب في البقاء هنا أكثر، كلما تذكرت أنّني أتيت فقط لرؤية عمّار وأن هذا لم يتحقق تختنق أنفاسي، كان عمّار هو سبب مجيئي إلى مصر لكنه أيضًا كان سبب رحيلي منها.

فكرت بأشياء كثيرة، لماذا وعدني بأشياء لم ولن يفي بها؟ لماذا خطط معي لحياة لم يكن ليعيشها معي؟ لماذا أخبرني أنه لن يسمح لشيءٍ بأن يحزنني ونسي أنه هو السبب الوحيد لأحزاني جميعها؟ لماذا أخبرني أنه يحبُّ رؤية ضحكتي ثم كان هو سبب اختفائها؟

أيام وشهور مرّت، كنت أراقبه كثيرًا، كنت أشاهد جميع صوره وأحفظها بأدق تفاصيلها، فكرت كثيرًا في أن أتحدث إليه مجددًا، لكن لم يعد يوجد ما يمكننا الحديث عنه.

في الحقيقة لا يُلام عمّار، لأن الحبّ ليس إجبارًا، لكن كان عليه أن يعلم أن الوعود التي لا تُنفّذ، تكسر المرء.

رحل عمّار ورحلت دالين أيضًا.

ماذا بعد؟

لا شيء سوى أن الرواية يجب أن تنتهي الآن، فالأبطال جميعًا قد رحلوا ..

تمّت